

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورة المرأة في النثر الجاهلي

إعداد
زهور علي عثمان دويكات

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2013

صورة المرأة في النثر الجاهلي

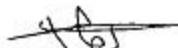
إعداد

زهور علي عثمان دويكات

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2013/6/17م، وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة


.....

1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً رئيسياً


.....

2. أ. د. عبد المنعم الرجبى / ممتحناً خارجياً


.....

3. د. عبد الخالق عيسى / ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى أغلى وطن وأقدس تراب "فلسطين"
إلى الشمعة التي أنارت لي درب الحياة "أمي"
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم "أبي"
إلى رياحين حياتي وجنتي الصغرى "أخي وأخواتي"
إلى من عشت معهم أجمل اللحظات "صديقاتي"
إلى من أعرفهم.... إلى من ساعدوني بالارتقاء في بلوغ العلم.
مع الحب

زهور

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى "والدي ووالدتي"، على ما بذلا من جهد، وصبر في إتمام دراستي الجامعية جزاهم الله خيراً.

كما أتقدم بشكري الجزيل المميز لأستاذي الفاضل الدكتور "إحسان الديك"، فقد تولاني برعاية صادقة، وأعطاني من وقته وجهده، فصدرت رسالتي حصيلة فكره وذوقه.. جزاه الله خيراً.. وأطال في عمره لخدمه هذه اللغة.

كما أتقدم بالشكر إلى موظفي مكتبة جامعه النجاح الوطنية، وأخص بالذكر الفاضل "فايز سلوم"، والفاضل "عبد الله نصر" فقد أعاناني بالمصادر والمراجع، ومنحاني من وقتهم الكثير، جزاهم الله خيراً..

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

صورة المرأة في النثر الجاهلي

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
شكرو وتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ز
المقدمة	1
الفصل الأول: المرأة في الفكر القديم	4
الفصل الثاني: مكانة المرأة في الفكر الجاهلية	29
الفصل الثالث: صور المرأة في النثر الجاهلي	55
تقديم: النثر الجاهلي	56
أولاً: صورة المرأة في الأسرة	61
ثانياً: صورة المرأة وقيم المجتمع	87
الفصل الرابع: التشكيل الفني لصورة المرأة في النثر الجاهلي	101
أولاً: الصورة الفنية	102
ثانياً: المحسنات البديعية	109
ثالثاً: اللغة والأسلوب	112
رابعاً: الموسيقى	115
الخاتمة	119
قائمة المصادر والمراجع	120
Abstract	b

صورة المرأة في النثر الجاهلي

إعداد

زهور علي عثمان دويكات

إشراف

أ. د. إحسان الديك

الملخص

يدور هذا البحث حول صورة المرأة في النثر الجاهلي، حيث جاء في مقدمة، وأربعة فصول، وعرضت الباحثة في المقدمة أسباب اختيارها الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهتها في البحث والمنهج الذي اتبعته، إضافة إلى أهم المصادر والمراجع التي يركز عليها البحث.

وتناولت الباحثة في الفصل الأول المرأة في الفكر القديم، ومكانتها في حضارة اليمن وبلاد الرافدين، والشام، ومصر، والغرب، ووصلت فيه إلى أنها كانت مقدسة، أسبغ عليها القديماء كل مظاهر القداسة والطهارة.

وفي الفصل الثاني تحدثت الباحثة عن مكانة المرأة في الفكر الجاهلي، واختلاف وضعها عن الأمم الأخرى.

وفي الفصل الثالث عرضت الباحثة صورة المرأة في النثر الجاهلي، قدمت له بالحديث عن فنون النثر المختلفة من الخطب، والوصايا، والرسائل، والحكم، والأمثال، والوصف، والأقوال، وضمت في هذا الفصل من الدراسة، مبحثين؛ لرسم الصورة الذاتية للمرأة في النصوص النثرية، فأعطت هذه الفنون صورة دقيقة للحياة التي عاشتها، فجاء المبحث الأول عن صورة المرأة في الأسرة، والمبحث الثاني عن صورة المرأة وقيم المجتمع.

وفي الفصل الرابع، عالجت الباحثة التشكيل الفني لصورة المرأة في النثر الجاهلي، من خلال عرضها لنصوص نثرية، أفصحت عن صورة المرأة، فدرستها دراسة فنية في ثلاثة

مباحث، المبحث الأول تحدثت فيه عن الصورة الفنية، أما المبحث الثاني فعن اللغة والأسلوب، والمبحث الثالث عن الموسيقى.

وفي الخاتمة أجملت الباحثة ما توصلت إليه في دراستها، من نتائج وأتبعنها بالمصادر والمراجع مرتبة حسب الحروف الهجائية.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على
دربه إلى يوم الدين وبعد:

فقد وصف كثير من المؤرخين، الحياة في الجزيرة العربية قبل الإسلام بأوصاف عدة
من صور التخلف، والظلم، والاستغلال، والعبودية، وبالغوا، ورسوموا صورة قاتمة لهذا العصر
الجاهلي، وممارساته السلبية، ولكن الحقائق التاريخية تظهر أشياء مختلفة تماماً عما دأبوا على
وصفه.

والمرأة عالم حافل بالأسرار والإشارات، وطاقمة المجتمع المتجددة، لذلك احتلت مساحة
واسعة من الخطاب الشعري، والنثري الجاهلي، وبناء على ذلك جاء اختياري للبحث متمثلاً
فيها، وبالنثر خاصة، ويرجع ذلك إلى أسباب عامة، وخاصة.

أما الأسباب العامة فقد تمثلت فيما يأتي :

- 1- تأثيرها في كل المراحل التاريخية للإنسان.
- 2- ازدواجية تأثيرها، فقد تكون مصدراً للقلق والمعاناة، وقد تكون مصدراً للسعادة والراحة.

وأما الأسباب الخاصة المتعلقة باختيار صورتها في النثر الجاهلي، فتعود إلى:

- 1- أن صورة المرأة في النثر الجاهلي، لم تدرس دراسة علمية منظمة، وإنما جاءت على شكل
ملاحظات مبعثرة، كتبها المؤلفون والدارسون، ولم تعطِ إلا نتيجة مظلمة، ولم ترسم سوى
صورة سلبية لها.

- 2- إن أكثر الدراسات انصبّت على صورة المرأة في الشعر الجاهلي، واكتفت بالإشارات
السريعة إليها في فنون النثر، وكأن المرأة لم تظهر صورتها إلا في البيان الشعري.

ومن هذه الأسباب، تبرز أهمية موضوع الدراسة، كونه من الموضوعات التي تكشف حقيقة المرأة، ودورها في العصر الجاهلي، من خلال فنون النثر المختلفة التي تناولتها.

أما فيما يخص الدراسات السابقة لصورة المرأة في النثر الجاهلي، فلم أعتز على دراسة مستقلة لهذا الموضوع، وإنما كان أقربها:

1- دراسة "أحمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي"، حيث تناولت موضوع المرأة ومكانتها في العصر الجاهلي، من خلال الشعر.

2- دراسة "محمد معبدي، أدب النساء في الجاهلية والإسلام"، فقد تحدثت في قسم النثر عن بعض فنونه، كالوصايا، والوصف، وأدب الكواهن، والخطب، والحكمة، والمثل.

3- دراسة "عبد الحي الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية، إلى نهاية العصر الأموي"، تحدثت عن نصوص المرأة النثرية، ونصوص الرجل النثرية، ضمن المرحلة الممتدة من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي، دراسةً، وجمعاً، وتحقيقاً، مقدمةً صورة قريبة للواقع الذي عاشته المرأة في تلك الأزمان.

4- دراسة "طه طه، صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات"، وقد جاءت وفق المنهج الأسطوري في دواوين شعراء المعلقات العشر.

5- دراسة "أمينة الحراحشة، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني"، وتناولت فيها دراسة موضوعية، وفنية للفنون النثرية التي تحدثت عن المرأة.

وهذه الدراسات على أهميتها، لا تعطي الصورة المطلوبة، دون الرجوع إلى المصادر العربية القديمة.

ومن أهم المصادر التي أفادت منها الباحثة كتاب "بلاغات النساء، لابن طيفور، ونثر الدر للآبي، ومجمع الأمثال للميداني"، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، و"المفصل في تاريخ العرب قبل

الإسلام "لجواد علي، و"بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" للآلوسي، و"الكامل في التاريخ لابن الأثير.

وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وتناولت الباحثة في الفصل الأول المرأة في الفكر القديم ومكانتها في الحضارات القديمة.

وفي الفصل الثاني المرأة في الجاهلية، وأوضاعها المختلفة.

وقد خصصت الباحثة الفصل الثالث للحديث عن صورة المرأة في النثر الجاهلي، سواء ما قالته المرأة نفسها، أو ما قاله الرجل عنها، في فنون النثر المختلفة مثل الخطب، والوصايا، والأمثال، والوصف، والأقوال.

وفي الفصل الرابع، درست الباحثة النصوص التي قالتها المرأة، أو التي قالها الرجل فيها دراسة فنية، من حيث الصورة الفنية، والمحسنات البديعية، واللغة، والأسلوب، والموسيقى.

وفي الخاتمة سجلت الباحثة خلاصة البحث، وأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت الباحثة في دراستها، المنهج التكاملي، حيث جاءت الدراسة تاريخية، في الفصل الأول، في الحديث عن المرأة في الفكر القديم، ومكانتها في الحضارات القديمة، ووصفية تحليلية، في دراسة الصورة التي كشفتها النصوص النثرية، التي كتبها رجال، ونساء في المرأة.

وأخيراً، فهذا ما استطاعت الباحثة تحقيقه، فإن وفقتُ فاشهد سبحانه وتعالى ولي التوفيق، وإن أخطأت فهو سبحانه المنزه عن الخطأ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

المرأة في الفكر القديم

أولاً: المرأة في الفكر اليمني القديم

ثانياً: المرأة في الفكر العراقي القديم

ثالثاً: المرأة في الفكر الشامي القديم

رابعاً: المرأة في الفكر المصري القديم

خامساً: المرأة في الفكر الغربي القديم

الفصل الأول

المرأة في الفكر القديم

المرأة في الفكر اليمني القديم

احتلت المرأة في الفكر اليمني القديم مكانة رفيعة، أبانت عنها الشواهد الكتابية، والنقوش الأثرية على قلتها، وقد رأى اليمنيون في المرأة الحياة السعيدة، والعيش الرغيد، كما جعلوها رمزاً للمحبة، والاتحاد، وأظهر المخلوقات، وأكثرها حيوية¹، وللتعرف إلى المكانة الحقيقية للمرأة اليمنية، نقف على أوضاعها في مختلف تشكيلات الحياة السياسية، والدينية، والعمرانية:

لم يقتصر منصب الملك على الرجال وحدهم، بل كان هناك من النساء من تولين الملك في بلادهن، ومن هؤلاء الملكات " بلقيس " ملكة سبأ²، و " بلقيس " التي اعتلت عرش الدولة السبئية، هي بنت هدهاد، من ولد يعرب بن قحطان، قارئة، عربية، عادلة في أحكامها، تجلس من كل أسبوع للحكومة ؛ للتشاور في أمور البلاد³، ولبقيس حرس من الرجال، وبطانة من النساء، ولها ثلاثمائة وستون امرأة من بنات أشراف حمير، وكانت تحبس الجارية عندها حتى تبلغ العشرين من عمرها، فتجري عليها اختباراً، فإذا رأتها تحب الزواج زوجتها شريفاً من قومها، وفصلتها عن خدمة القصور، وإذا رأتها لا تليق للزواج أبقتها لخدمتها⁴.

وتقوم ديانة السبئيين أو غيرهم من شعوب الجزيرة العربية، في أساسها على عبادة ثالوث من الكواكب، ، فكان الإله الأب هو القمر، وكانت الإلهة الأم هي الشمس، أما الإله الابن

¹ يُنظر: طه، طه: صورة المرأة المثال وموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ط1، عمان، الأردن، دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2009م، ص 31.

² يُنظر: أبو زيد، محمد عبد الحميد: مكانة المرأة في الإسلام، (د.ط)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1979م، ص 301.

³ يُنظر: الطهطاوي، رفاعه رافع: الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، (د.ط)، بيروت، لبنان المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973م، ص 449؛ مجموعة مؤلفين، الموسوعة اليمنية، (د.ط)، بيروت، لبنان مؤسسة العفيف الثقافية، دار الفكر المعاصر، 1992م، ص 166؛ جبران، نعمان محمود محمد، آل ثاني، وروضة سحيم: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (د.ط)، إربد، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، 1998 م، ص 93.

⁴ يُنظر: الموسوي، محمد صالح: دليل الهدى إلى اختيار شريكة الحياة (المرأة في الإسلام)، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 1997م، ص 124.

فكان نجم الزهرة¹، ولم تكن الشمس إلهة عادية، وإنما كانت إلهة مميزة، أدت جملة من الوظائف تمحورت معظمها حول الخصوبة، والحياة، لذلك بنى اليمينيون لربتهم الهياكل العظيمة، وقربوا لها القرابين، وأخص أنواع عبادتهم للشمس؛ السجود لها عند شروقها وغروبها.²

وقد عبدت " بلقيس " الشمس، وورد ذكرها في القرآن الكريم، وقصتها مع النبي " سليمان " عليه السلام، قال تعالى: " وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " .³

وقد اختلف العلماء حول زواج بلقيس، ففريق صرح بزواجها من سليمان، و آخرون قالوا إنها تزوجت من (ذي تبع) ملك همدان.⁴

وقامت " بلقيس " بأعمال عمرانية، رفعت مجدها إلى أبعد صيت، منها ترميم سد مأرب، الذي بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، بالحجارة الصلبة، والرصاص، بناء محكمًا بين جبال ثلاثة، جمع فيه مياه السيول والعيون التي هناك.⁵

المرأة في الفكر العراقي القديم

تعد حضارة بلاد الرافدين من الحضارات العالمية القديمة، سميت بأسماء القبائل العربية التي أقامتها، والتي جاءت من شبه جزيرة العرب بهجرات بدأها الأكاديون حوالي سنة 3500 ق.م، وورثوا حضارة الشعب السومري، ويعتبر السومريون أول من سكن بلاد الرافدين بعد طوفان نوح، وقد عملوا بالزراعة، وحفروا الترع والقنوات، واشتغلوا بالتجارة، وكان الطب مهنة تمتلئ عندهم، ولما أقام البابليون (و أصلهم من القبائل العربية الأمورية القديمة) دولتهم

¹ يُنظر: فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط 4، (د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984م، ص 129.

² يُنظر: طه: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ص 43-44.

³ النمل: الآية 24.

⁴ يُنظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، ج 1، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، 1965م، ص 237، الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبدالله الحسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج 2، عُنِيَ بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجت الأثري، ط 2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص 273.

⁵ يُنظر: الموسوي: دليل الهداة إلى اختيار شريكة الحياة (المرأة في الإسلام)، ص 124.

حوالي 2000 ق.م، نسبة إلى عاصمتهم بابل، ورثوا تراث بلاد الرافدين السومري، و أضافوا إليه حضارتهم الكبيرة، ومن أشهر ملوكهم حمورابي.¹

ثم جاء الآشوريون، و أصلهم قبائل عربية، هاجرت حوالي 3000 ق.م، إلى شمال العراق، وقد حملوا لواء هذه الحضارة، ونسبوا إلى إلههم آشور، الذي مثل قسوتهم، وخشونتهم.² وسأتحدث عن دور المرأة العراقية ومكانتها في الحضارات القديمة: السومرية، والبابلية، والآشورية، وهي الفترة التي تجلت فيها الحضارة العراقية في أرقى صورها.

أولاً: الحياة الاجتماعية

امتاز نظام الأسرة في الحضارة العراقية، بكونه نظاماً أبوياً، ولكن السلطة الأبوية التي مارسها الرجل في تلك المجتمعات لم تكن سلطة مطلقة، إذ كان للأُم هي الأخرى مكانة مرموقة، وكانت المرأة تتمتع بالكثير من الحقوق والامتيازات.³

وفضّل سكان وادي الرافدين الذكور على الإناث ؛ لقدرتهم على القيام بالأعمال الزراعية والمشاركة في الحروب، ولكن لم يحاول هذا المجتمع محاربة الإناث، فالكلمة السومرية (dumu)، والأكدية (maru) هي المستعملة في معظم المواد المتعلقة بحقوق الأطفال، وتدل على معنى الطفل بمعناه العام، دون التفرقة بين البنت والولد.⁴

وقد اتبع السومريون والبابليون والآشوريون، عادات وتقاليد معينة في مختلف أنواع الحياة الاجتماعية ومنها:

¹ يُنظر: حسين، زليخا أمين، موسوعة ينابيع المعرفة (حضارات و أعلام)، (د.ط)، عمان، دار دجلة، 2008م، ص 28 - 29.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 31.

³ يُنظر: عقراوي، تلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، (د.ط)، بغداد، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978م، ص 22 - 23.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص 24.

أ - الزواج

فضّل سكان بلاد الرافدين الزواج المبكر، واهتموا بكثرة إنجاب الأطفال، لمساعدة الآباء في أعمالهم وزراعتهم، وليهتموا بهم في شيخوختهم¹، وكان إنجاب الذرية من دعائم الزواج الناجح، وأهم الدوافع إليه، ومن التمنيات السومرية التي يتبادلها الأصدقاء فيما بينهم قولهم: "عسى أن يمتلئ بيتك بالتوائم" فكثرة الأطفال كانت مصدر قوة العائلة².

وكان الزواج قبل شريعة حمورابي، (التي اشتهرت بها بابل، والتي تعد من أهم شرائع العراق القديم و أكثرها نضجاً، وتعود إلى ملك حكم ضمن السلالة البابلية المؤسسة لبابل)، يتم بالشراء، حيث كانت كل قرية تجمع فتياتها في سن الزواج في مكان خاص، وتحيط بهن مجموعة كبيرة من الشباب الراغبين في الزواج من القرية نفسها أو من قرى مجاورة، ثم ينادي مناد عليهن واحدة واحدة فيما يشبه نظام (الدالة) اليوم، عارضاً إياهن للبيع لمن يدفع أكثر، وجرت العادة أن يبدأ أولاً ببيع أكثر الفتيات جمالاً، فمتوسطة الجمال، وقدرة المشتري المالية هي التي تحدّد مستوى جمال من سيتزوجها، أما الدميمات والمشوهات فكان من نصيب الشباب من عامة الشعب الذين لم يكن الزواج هدفهم الوحيد، بل الطمع فيما كان يعرضه الدلال من مال مع كل واحدة منهن؛ ليعوض ما لديها من نقص أو تشوّه، وكان الطمع في المال يشكل هدفاً أساسياً للزواج من الدميمات³.

أما في عهد حمورابي فجرت العادة أن يختار والد الشاب خطيبة ابنه، وعندما يتم اتفاق بين العائلتين على الزواج يشرع في إعداد الخطبة، ومن المظاهر الخارجية لهذا الاحتفال أن

¹ يُنظر: عقراوي: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص 27.

² المرجع نفسه، ص 23.

³ يُنظر: القوال، صلاح مصطفى: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1982م، ص 156؛ تفاحة، أحمد زكي: المرأة والإسلام، (د.ط)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (د.ت)، ص 154؛ العبودي، عباس: شريعة حمورابي (دراسة ومقارنة مع التشريعات القديمة والحديثة)، (د.ط)، (د.م)، الدار العلمية الدولية، مكتبة دار الثقافة، 2001م، ص 100.

ترسل إلى بيت والد العروس بعض قطع الأثاث، كما يقدم الشاب أو والده (تيرهااتو)¹، موضوعاً على صفحة إلى والد العروس.²

وإذا تم الزواج و أخذ شكله الرسمي، فليس من حق الزوج أن يتزوج امرأة ثانية حرة، إلا إذا كانت في زوجته عيوب تمنعها من تلبية حقوقه المشروعة، أو كانت مريضة بصفة مستمرة، أو غير قادرة على الإنجاب، وكانت الزوجة الثانية أقل مكانة من الأولى، وعليها أن تغسل قدمي الزوجة الأولى، وتحمل مقعدها إلى المعبد³، حتى الملوك الذين عرفوا بتعدد الزوجات، كان عليهم أن يفضلوا واحدة منهم على الأخريات لتعامل بوصفها ملكة تقدم لها فروض الولاء والاحترام، ولا تختلط مع بقية الزوجات.⁴

وقد عبر السومريون عن الزواج بمصطلح (نادام ني، بآن توكو) وبالأكدية (اخازوا) أي أخذ، أما عقد الزواج الرسمي فيسمى في السومرية (كأكسيذا)، الذي يقابله بالأكدية (ركاتم).⁵ وتنقسم طقوس الزواج إلى نوعين مختلفين، طقوس الزواج التقليدية بين رجل وامرأة، تبدأ بتلاوة العروس بعض العبارات المقدسة، ويتم بقسم الزواج، ثم تزف الزوجة إلى الزوج الذي يرفع قلنسوة عروسه، ويضعها على رأسها دليلاً على احترامه لها، أما الزوجة فكان الكاهن يباركها بسكب الزيت على رأسها.⁶

¹ مصطلح انتشر في العصر البابلي، للدلالة على كمية النقود التي يستلمها والد العروس من الخطيب، بعد أن تحصل الموافقة بينهما، ينظر: عقراوي: المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص 80

² ينظر: العلوجي، عبد الكريم، حمورابي ذهب الرجل وبقيت الأسطورة، ط1، (دم)، دار الكتاب العربي، 2010م، 172-173.

³ ينظر: الفوال، صلاح مصطفى: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ص 157، و: الأنصاري، فاضل: العبودية (الرق المرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي)، ط1، دمشق، سورية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م، ص 143-146

⁴ ينظر: الفوال، صلاح مصطفى: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ص 157.

⁵ ينظر: عقراوي: المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص 276: الماجدي، خزعل: متون سومر، ط1، عمان، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م، ص 276.

⁶ ينظر: الماجدي، خزعل: الدين السومري، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998م، ص 158.

أما طقوس الزواج المقدس كانت مخصصة للملوك، فقد استمدت جذورها المثلولوجية من زواج (إنانا ودموزي)، وكان الملك يأخذ دور دموزي، والكاهنة العليا تأخذ دور إنانا، وكان ذلك يحصل مع بداية السنة السومرية في الواحد والعشرين من آذار من كل عام¹، وغاية هذا الزواج المقدس هو الخير والخصب، وأصبح من مهام الملك؛ لحث الطبيعة على الخصب، وإثراء الحياة في جميع مهامها.²

وكان الزوج في بلاد الرافدين، إذا ضاع زوجته وجب عليه أن يحرق نوعاً معيناً من البخور، ويجلس قريباً منه هو وإياها، حتى يغتسلا عند طلوع الفجر، وقد حرم عليهما لمس أي شيء ما لم يغتسلا.³

ب - الإنجاب

شجعت القوانين في بلاد الرافدين، على الإكثار من النسل، فكان الإجهاض عندهم جريمة، يعاقب عليها بالإعدام، وكانت المرأة التي تجهض نفسها، أو التي تموت، وهي تحاول إجهاض نفسها، تحرق بعد موتها.⁴

وكانت شعائر طقس الولادة عند السومريين، تبدأ منذ بداية الحمل، حيث تقدم المرأة تقدمات للعفريّة الشريرة (لاماتشو) طيلة فترة حملها، وكانت هذه العفريّة، ترغب بتقدمات اللحوم والهدايا التي تجعلها تهرب بها، دون أن تتربص بالحامل وتوقع بطفلها الضرر.⁵

¹ يُنظر: الماجدي، خزعل: الدين السومري، ص 158؛ السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، ط2، (د.م)، دار علاء الدين للنشر، 2001م، ص 56 و؛ الماجدي، خزعل: المعتقدات الأمورية، (د.ط)، عمان، دار الشروق، 2002 م، ص 107 - 108.

² ناصيف، مهية: الملك في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م، ص 14.

³ يُنظر: الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ص 158.

⁴ يُنظر: ديورانت، ول: قصة الحضارة، م 3، ج1، ترجمة: محمد بدران، (د.ط)، (د.م)، الإدارة الثقافية، جامعته الدول العربية، (د.ت)، ص 33.

⁵ يُنظر: الماجدي، الدين السومري، ص 157.

وتسمى القابلة التي تقوم بالتوليد في السومرية شازو (sha-zu)، حيث تؤدي في أثناء عملها صلاة معينة، وتعصب رأس المرأة الحامل، وتضعها على مصطبة من اللبن¹، وقد أُطلق على المرأة الحامل لقب (أم المستقبل)².

ج - الطلاق

كما كان للزواج في حضارة وادي الرافدين تقاليد وقوانين، كان للطلاق نظم وقواعد، ولم يكتف سكان وادي الرافدين بتنازل الرجل الشفوي عن كل حقوقه لزوجته، بل كان على الزوج أن يؤيد رغبته بقرار من المحكمة يثبت تنازله عن زوجته بصورة رسمية، ويعطيها حق الزواج ثانية.³

وعبر السومريون عن طلاق الرجل لزوجته بالفعل (تاك tag) أي بمعنى الترك، (أو الافتراق عن)، أما البابليون فعبروا عنه بمصطلح (uzubbum) ويعني المعنى السابق⁴، ومن أنواع الطلاق أولاً: الطلاق غير المنصف، وهو طلاق الرجل لزوجته دون سبب، وفي هذه الحال يكون الرجل مجبراً على دفع مبلغ من المال لزوجته، أما الطلاق الثاني: الطلاق العادل، وهو طلاق الرجل لأسباب موجبة، وفي هذه الحال لا يدفع الزوج مهر الطلاق، ومن الأسباب الموجبة له، سوء سلوك الزوجة، أو امتناعها عن المعاشرة، أو كونها عاقراً.⁵

د - اللباس والزينة

عُرفَ الحجاب عند الأقوام، والمجتمعات الشرقية القديمة، ولا يزال إلى الآن، وكان الآشوريون من أقدم الشعوب الدينية، التي أخضعت النساء للحجاب، وهذا ما أكدته الحفريات في آشور القديمة، حيث تم العثور على لوحات طينية ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت

¹ يُنظر: الماجدي، الدين السومري، ص 157.

² يُنظر: طه، نضال: الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م، ص 42.

³ يُنظر: عقراوي: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص 102.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص 103.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص 104، و: الماجدي: الدين السومري، ص 174.

إحدى الفقرات في لوحة تحكي بياناً مفصلاً عن الحجاب، وفرض قوانين ضد النساء اللواتي كن لا يرتدينه.¹

وقد وصل الحرص على التفرقة بين الحرائر والإماء، حدّ توقيع عقوبات قاسية على من يرى أمةً أو عاهرة محببة في الطريق، ولا يقوم بتقديمها إلى القصر لتلقى جزاءها، وذلك بأن يخلع عنه ثوبه ويجلد خمسين جلدة، وتتقّب أذنائه، ويُمَرَّر بينهما خيط يعقد خلف ظهره، ويعمل من أجل الملك شهراً كاملاً، أما الأمة المحببة فتجلد خمسين جلدة، ويصبُّ القار على رأسها.²

وتدلّ هذه القوانين على أهمية الحجاب في بلاد الرافدين، وبأنه علامة لانتماء المرأة الطبقي، وضمان شرفها، وكانت ملابس الرجال والنساء متشابهة، ولها الطول نفسه، وكان ثمة رداء فضفاض يصل إلى الركبة، وكانوا يرتدون أيضاً ثوباً لامعاً مخططاً بأكمام قصيرة، يصل إلى الأرض عند النساء.³

وكانت النساء يتجملن بأنواع من الحلي كالقلائد، والأساور، ويتضمخن بالعطور، فقد كانت بابل سوقاً رئيسةً للتجار بالمواد العطرية⁴، كما كانت المرأة الرافدية تصفف شعرها، وتضع عليه تاجاً من الخرز، وتستعمل الزيوت المعطرة الغالية؛ لتكسبها النعومة والطراوة.⁵

¹ يُنظر: بركة، إقبال: الحجاب رؤية عصرية، ط1، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م، ص 45؛ والغفار، عبد الرسول: المرأة المعاصرة، ط1، بيروت، لبنان، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1977م، ص 35؛ حجة، تيسير، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، (د.ط)، رام الله، فلسطين، مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية شمس، 2009م، ص 10؛ درويش، هدى: حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية، ط1، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005م، ص 20؛ المشري، البشير، الموروث و أثره في التشريع الإسلامي، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2010م، ص 55.

² يُنظر: بركة: الحجاب رؤية عصرية، ص 46.

³ يُنظر: القيم، علي، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ط2، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م، ص 77.

⁴ يُنظر: الحوفي، أحمد، الغزل في العصر الجاهلي، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار القلم، (د.ت)، ص 131.

⁵ يُنظر: القيم، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ص 176.

هـ - الترفيه والطرب

كانت الموسيقى وآلات الطرب إحدى إبداعات حضارة وادي الرافدين، استعملوها للتعبير عن مشاعرهم في مجالات مختلفة، كالاحتفالات الدينية والدنيوية، وهناك نماذج تؤكد مشاركة المرأة في هذا المجال، ومنها طبعة ختم تمثل امرأة عارية تعزف على آلة الكنارة (الحيثار)، المصنوعة على هيئة حيوان¹، وهناك مجموعة من دمي الطين في متحف اللوفر بباريس، تشير إلى نسوة عاريات يقرعن على دف صغير.²

ثانياً: الحياة السياسية والقضائية

تبدأ عدد من النسوة في وادي الرافدين مراكز مهمة، وكان معظمهن من الأميرات، زوجات الملوك أو أخواتهم، ومن الملكات السومريات امرأة تدعى "كوبابا" استولت على مدينة كيش، إحدى المدن الرئيسية، حكمت مدة تقارب ثلاثين عاماً، كما تولى عدد من الملكات مناصب أزواجهن حينما كانوا يذهبون إلى الحروب، أو مناصب أبنائهن الصغار، ومنهن الملكة شيببتو زوجة الملك زمريلم في مملكة ماري، التي كانت في سوريا حوالي 2900 ق.م.³

أما في المحاكم القضائية، فقد كان للمرأة أن تثبت براءتها، وإخلاصها للحياة الزوجية، فيما إذا ادّعى الزوج بأنها قد خانت⁴، ونص القانون على إغراق الزوج زوجته الزانية، ومن زنت معه، إلا إذا أشفق عليها، فأثر أن يستبدل بهذه العقوبة إخراجها إلى الطريق عارية، أما شريعة حمورابي فأقرت أن ترمي بنفسها إلى النهر؛ حفظاً لشرف زوجها.⁵

¹ يُنظر: عقراوي: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص 207.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 209.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص 202 - 203.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص 37.

⁵ يُنظر: أبو رقطي، عبد المالك: المرأة بين الأرض والسماء، (د.ط)، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2009م، ص 36.

ثالثاً: الحياة الاقتصادية

اشتهر في العصر السومري القديم، نساء كن يشرفن على جمع الضرائب، وإدارة الأمور التجارية، وتصريفها ومنهن (ديم باندا) زوجة اينتاري حاكم مدينة لجش السومرية¹، وكان لبعض النساء أختام خاصة يستعملنها في معاملتهن الخاصة، وكانت المرأة دائنة، ومدينة، وكفيلة، وبائعة، ومشتريّة للأموال².

أما الحرف التي مارستها المرأة، فهي متعددة، ومن أكثرها انتشاراً مهنة الكهنوت في بنات العائلات الغنية، ومهنة الكتابة التي تعد أبرز المظاهر الحضارية في وادي الرافدين، وقد ظهرت في حدود 3000 ق.م، ولقد أدّت المدارس دوراً مهماً في انتشار الكتابة المسمارية، ومن ثم في عملية الاستنساخ والتأليف، فالتعليم لم يكن عاماً في وادي الرافدين، بل كان مقتصرًا على أبناء العائلات الغنية التي كان باستطاعتها تحمّل المصاريف الباهظة، وقد ظهرت نساء اشتغلن ناسخات، وكان معظمهن كاهنات³.

و ظهرت أيضاً مهنة المرضعة ؛ ترضع الطفل وتساعد أمه، وكان الطفل يقضي عادة عند المرضعة حوالي ثلاث سنوات، يرجع من بعدها إلى أهله، وعلى الأهل أن يجهزوها خلال تلك الفترة بالملابس والزيت والحبوب، أما إذا لم يستطيعوا القيام بهذا الواجب، فباستطاعتهم أن يتنازلوا عن حصتهم في الطفل إلى المرضعة⁴.

رابعاً: الحياة الدينية

عبد الرافديون ثالوثاً مقدساً، يتكون من (سن الإله القمر، وطفليه شماس إله الشمس، وعشتار)، ولكن عشتار استأثرت بقسط وافر من أساطير البابليين، والآشوريين، وهي إلهة الحب

¹ يُنظر: عقراوي، المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، ص32.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص34-39.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص199-200.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص155-159.

والجنس، والخصب، والحرب¹، أما إنانا (inano) السومرية، فهي ذاتها عشتار البابلية، وهي في فكر السومريين الإلهة الأم، بوصفها ربة حرب، وحب.²

وفي العصر الأموري كانت للديانات الرافدية، آلهة نساء، ففي سومر كانت (أيفني) العذراء إلهة الأرض، و (ننكرساج) آلهة مدينتي (إكش، ولجش)، وهي أم حزينة أحرزها شقاء البشر، فأخذت تشفع لهم عند الآلهة الذين كانوا قساة.³

ومما يؤيد أسبقية المجتمع الأمومي على المجتمع الأبوي، أن أقدم التماثيل التي شكلها الإنسان للعبادة في العصر الحجري، هي تماثيل إناث على شكل دمي طينية، أو فخارية في هيئة امرأة حبلى، أو أم تضم إلى صدرها الطفل الصغير، أو عارية الصدر تمسك ثدييها بكفيها في وضع عطاء.⁴

أما من الناحية الدينية، فكان للمرأة قسط وافر في إدارة المعابد، وإقامة المراسيم الدينية، وكان الملوك والأمراء يتنافسون في تعيين قريباتهم في هذه المراكز، وكان الرجل يفخر في أن يهب ابنته سريرةً للآلهة أو الكهنة ؛ لتخفيف ما يعتري حياة الكهان من ملل وسامة، بل يقدم القرابين في هذا الاحتفال الذي شرفه بإدخال ابنته إلى الخدمة المقدسة.⁵

ومن الأغراض الدينية التي تقوم بها المرأة، أن تأتي مرة واحدة في حياتها إلى هيكل " ميليتا " ربة الجمال ؛ لتبيح نفسها إلى أجنبي، فكن يجلسن صفوفاً، وبينهن طريق يمر فيها الغريب ؛ قصد الانتقاء، فإذا أعجبه إحداهن رمى قطعة فضية عند قدميها، وعندها تقبل الهدية

¹ يُنظر: ديلايورت: بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)، ترجمة محرم كمال، (د.ط)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص142.

² الديك، إحسان: *صدى عشتار في الشعر الجاهلي*، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م 15، 2001 م، ص143-190.

³ يُنظر: العودات، حسين: *المرأة العربية في الدين والمجتمع*، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص 17.

⁴ يُنظر: السواح، فراس، *لغز عشتار (الإلهية المؤنثة و أصل الدين والأسطورة)*، ط6، دمشق، دار علاء الدين، 1996م، ص 25.

⁵ يُنظر: عقراوي: *المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين*، ص 268؛ ينظر: أبو رقطي: *المرأة بين الأرض والسماء*، ص 134.

المقدسة وتتبعه، وكان لا يسوغ لمن دخلت الهيكل أن تعود إلى منزلها، حتى تقوم بهذا الغرض، وبسبب ذلك كانت القبيحات يبقين في الهيكل سنين محرومات من أزواجهن، و أولادهن.¹

مكانة المرأة في الفكر الشامي القديم

استمرّ تدفق السيل البشري في التقدّم نحو شمال الجزيرة العربية، واستقر في الأراضي السورية، والساحل اللبناني، وجزء من الأراضي الفلسطينية، فكانت موئلاً كبيراً لـ (الكنعانيين)، و (الفنيقيين)، و (العبرانيين)، بعشائريهم، وطوائفهم المتعددة.²

ويرتد الفنيقيون إلى الأصل الكنعاني، ويرتبط أصل كلمة (phenike) = فنيقية، بكلمة (phoenix) أحمر، فالكلمة ترتبط بما اشتهرت به مدن الساحل القديم، من صناعة القماش الأرجواني الأحمر والتجارة به³، أما العبرانيون فهم: " أحد فروع الدوحة السامية، وينسب اسمهم إلى عابر، أحد أجداد إبراهيم، الذي أتى به إلى فلسطين، وقد منحهم لقب الكنعانيون".⁴

وللتعرف إلى أوضاع المرأة في بلاد الشام القديمة، علينا إلقاء نظرة على دورها، ومشاركتها في جوانب الحياة.

أولاً: الحياة الاجتماعية

لقد حظيت المرأة الكنعانية، بمكانة مرموقة في المجتمع الكنعاني، وقد شاركت الرجل في جميع الأعمال، والمسؤوليات الخاصة بالأسرة، فقد عملت في الحقول، وزراعة المحاصيل، وجني الثمار.⁵

¹ يُنظر: ديورانت، قصة الحضارة، م1، ج1، ص 229.

² يُنظر: طه: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ص 71.

³ يُنظر: لانجرم، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج1، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت) ص72؛ إيمار: أندريه، و أوبواه، : تاريخ الحضارات العام، إشراف: مورييس كروزيه، ترجمة: فريد دانمر، فؤاد أبو ربحان، ط3، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1994م، ص 256.

⁴ عبد المالك بطرس: قاموس الكتاب المقدس، ط13، القاهرة، دار مكتبة العائلة، 2000م، ص 596.

⁵ يُنظر: حجة: حقوق المرأة في الشريعة والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، ص 19.

أما عند العبرانيين (اليهود)، فقد كانت كتبهم المحرّفة مثل التوراة، والتلمود، تسير في مسار واحد، هو النيل من حقوق المرأة، وجعلها كالخادمة، بالإضافة إلى أنها ألقت عبء الخطيئة الأولى على المرأة وحدها¹، تقول التوراة: " مِنْ الْمَرْأَةِ ابْتَدَأَتِ الْخَطِيئَةُ، وَبِسَبَبِهَا نَمُوتُ نَحْنُ أَجْمَعُونَ." ²

وكره العبرانيون أن يلدوا بناتاً، وسروا بإنجاب الذكور؛ لأن الذكر هو الذي يحمل اسم أبيه، واسم أسرته، أما البنت فسوف تتزوج من بيت غريب، وقد يكون بيتاً بعيداً³، والمرأة عند العبرانيين، إذا ولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمثها تكون نجسة، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين.⁴

أما الطقوس والمعتقدات التي ظهرت في المجتمع الشامي، فهي متعددة باختلاف المناسبات، ومنها:

أ – كان الزواج عند الكنعانيين، القاعدة الأساسية لتكوين العائلة، والمجتمع، وكان الإنجاب أمراً محبباً عندهم، وبخاصة إنجاب الأولاد، الذي يعيد إلى البلاد ازدهارها، وفي المقابل فإن قتل الفتيان، والأخوة الصغار، يعدّ عملاً مهتماً لكل أمل في التجديد⁵، أما العبرانيون، فقد كان الأب عندهم يزوج ابنته، يحصل على المهر، وهذه عادة عند طبقات المجتمع كلها، يتساوى فيها الغني والفقير، ولم يكن المهر مجرد نقوط، يدفعه العريس، بل هو أحياناً في صورة عمل يقوم به العريس.⁶

¹ يُنظر: عاشور، محمد: مركز المرأة في الشريعة اليهودية، (د.ط)، القاهرة، دار الاتحاد الغربي للطباعة، 1974م، ص 91.

² الكتاب المقدس، العهد القديم، (د.ط)، (د.م)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1996م، سفر يشوع، إصحاح 25، الآية 34.

³ يُنظر: العودات: المرأة العربية في الدين والمجتمع، ص 41.

⁴ يُنظر: السقا، أحمد: الجنس عند اليهود، ط2، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2004م، ص 295.

⁵ يُنظر: الماجدي، حزعل، المعتقدات الكنعانية، ط1، رام الله، عمان، دار الشروق، 2000م، ص 262.

⁶ يُنظر: عليان: سيد سليمان: نساء العهد القديم (دراسات في الأنساب والمعاني)، (د.ط)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م، ص 27.

وجرت العادة عندهم أن يصوم العروسان، في يوم الحفل منذ الفجر، حتى نهاية طقوس الاحتفال، وهما يعترفان في أثناء صلواتهما بخطاياهما، ويرددان فقرات دينية طلباً للتوبة، والفكرة الكامنة وراء الصوم، أن التراث العبراني يرى في الزواج مرحلة جديدة، تغفر مع بدايتها كل خطاياه، كما أن هناك سبباً دينياً، فالصوم يمنع المرء أن يبدأ إجراءات زواجه وهو ثمل.¹

ب - الطلاق

الطلاق شائع عند الشعوب القديمة، وكان يتم عند العبرانيين، في حال مارست المرأة الدعارة، أو أي عادات سيئة غير مرغوبة، أو في حال عدم إنجابها، أو إصابتها بمرض عضال.²

ج - اللباس والزينة

من العادات التي عاشتها الأمم في الشرق والغرب لبس الحجاب، وكان يأخذ في كل مجتمع صفة، وشكلاً معيناً، وقد فرضت الديانة اليهودية على المرأة ضرورة وضع غطاء على رأسها؛ للمحافظة على حشمتها، وكانت تميل إلى التشدد في تطبيقه³، وقد ذُكر الحجاب في أكثر من موضع في التوراة، ومن ذلك: "وَرَفَعَتْ رِفْقَةً عَيْنَيْهَا فَرَأَتْ إِسْحَاقَ، فَانزَلَتْ عَنِ الْجَمَلِ، وَقَالَتْ لِلْعَبْدِ: "مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلْقَائِنَانَا؟" فَقَالَ الْعَبْدُ: هُوَ سَيِّدِي"، فَأَخَذَتْ الْبُرْقُوعَ وَتَغَطَّتْ"⁴، كما لبست المرأة العبرانية أقرط الذهب للزينة.⁵

¹ يُنظر: أنترمان: آلان: اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، ترجمة عبد الله الشيخ، مراجعة: أحمد شلبي، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م، ص 361 - 362.

² يُنظر: عليان: نساء العهد القديم، ص 34.

³ يُنظر: الجمري، عبد الأمير منصور: المرأة في ظل الإسلام، تقديم: محمد بكر العلوم، ط4، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1986م، ص 194.

⁴ الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين، إصحاح الرابع والعشرون، الآية 64-65.

⁵ يُنظر: عليان: نساء العهد القديم، ص 22.

ثانياً: الحياة الدينية

عُبِدَت الحية بوصفها رمزاً من رموز المرأة في أرض كنعان، وكانت عبادتها شائعة، عند أكثر الشعوب القديمة، فالكنعانيون يعتقدون أنها إلهة لعدة أسباب منها، أنها انفردت بقوة هائلة¹، أما الفينيقيون فكانوا يعبدون الطبيعة، ويرمزون إليها بصنم اسمه بعل يمثل إله النور المسمى (مولوخ)، واتخذوا له زوجة أشركوها في الألوهية سموها (عشتر) وهي كوكب الزهرة، وكانوا في عبادتها يستبيحون النساء عامة²، أما عند العبرانيين، فقد كان للمرأة وضع ديني ثانوي، فقد حرم عليها دخول الكهنوت، والمشاركة في المجتمعات الدينية، وسمح لها المساهمة في الاحتفالات الخارجية، والرقصات المقدسة.³

المرأة في الفكر المصري القديم

تحتل مصر مكانة مميزة بين الشعوب القديمة، فالمرأة المصرية في عهد الفراعنة، قد حظيت بتقدير الجميع واحترامهم، وشاركت في مختلف أشكال الحياة العامة، ومنها:

أولاً: الحياة الاجتماعية

كانت الأسرة هي النواة الحقيقية للحياة الاجتماعية المصرية، وكان الزواج من أهم العوامل التي تعمل على بناء المجتمع المصري وتربطه، وكان يتم بناءً على رغبة متبادلة بين الشاب والفتاة، وقد حرص المصري القديم على تسجيل عقود الزواج. والعلاقة بين الزوج والزوجة يسودها الإخلاص والحب، ويرجع تاريخ أقدم زواج مصري، إلى القرن الرابع قبل

¹ يُنظر: عياش، عبد القادر، الحية في حياتنا وتراثنا، (د.ط)، دير الزور، سورية، سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات، 1968م، ص 44.

² يُنظر: الموسوي: دليل الهداة إلى اختيار شريكة الحياة (المرأة في الإسلام)، ص 175.

³ يُنظر: عباس، عبد الهادي: المرأة والأسرة في حضارات الشعوب و أنظمتها، ج1، ط1، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1997م، ص 312؛ رين، ناتالي: المرأة اليهودية (الماضي، الحاضر، المستقبل)، تعريب سهام منصور، ط2، (دم)، مكتبة مدبولي، 1987م، ص 15.

الميلاد، ولقد كانت عقود الزواج في مصر تنصُّ على منح الزوجة السلطة على زوجها، والأزواج يتعهدون بطاعة زوجاتهم.¹

ولم تكن العزوبية محببة في المجتمع في مصر القديمة، فالرجل لا يعد حكيماً في نظر الناس إلا إذا تزوج، وقد استعملت اصطلاحات، وتعابير مختلفة؛ لتسمية الزواج منها، (يتخذ زوجة)، (يؤسس بيتاً)، (يشتهي)، (يتمنى).²

وانتشر الزواج المبكر في مصر القديمة؛ اعتقاداً منهم أنه خير حل لمشاكل المراهقة، وما ينتج عنها من عقد وانحرافات في المجتمع، وبخاصة أن صفة الحياء لم تكن من صفات المصريين، فقد كانوا يتحدثون عن الشؤون الجنسية، وكانوا يزينون هياكلهم بصور ونقوش تظهر فيها أجزاء الجسم، لذا كان الدم الذي يجري في عروق سكان وادي النيل حاراً، ومن أجل ذلك كان الفتيان والفتيات يتزوجون في سن العاشرة³، وكان من حق الفتاة الحصول على هدايا الخطوبة من الزواج، كالفضة والذهب، وقد سمتها بعض الوثائق (هدية البكارة).⁴

والمرأة في نظر زوجها هي (حمة) أي حُرمة، و (مرة) أي حبيبة، وإذا تحدث الناس عنها قالوا (بنت بر) بمعنى ست البيت⁵، ومما يدل على العناية بالزوجة، أن ابن ملك الأسرة الخامسة من الفراعنة، (فتاح حتب)، أذاع وصاياه لما طعن في السن على بني وطنه، وكان منها: " أحبّ امرأتك، ولا تشاحنّها، وغذّاها، وزينّها، وعطرها، ومتّعها ما حبيبت، فهي ملك يجب أن تكون جديرة بالمالك، ولا تكن محافظاً غليظاً ".⁶

¹ يُنظر: علي، رمضان: حضارة مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات القديمة)، ج1، تقديم زاهي حواس، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، 2004م، ص 461؛ يُنظر: مهران، محمد: الحضارة المصرية القديمة (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية)، ج2، (د.ط)، (د.م)، دار المعرفة الجامعية، 1998م، ص 192؛ و: زيتري، فلندر: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، 1975م، ص 220.

² يُنظر: طه: الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، ص 184.

³ يُنظر: ديورانت، ول: قصة الحضارة، م1، ج1، ص 98-99.

⁴ يُنظر: علي: حضارة مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية)، ص 461.

⁵ يُنظر: عبد الباسط، محمد حسن، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي، مجلة عالم الفكر، ع1، م7، 1976م، ص 43.

⁶ يُنظر: الحوفي، أحمد: المرأة في الشعر الجاهلي، ط3، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1980م، ص 71.

وكان الزوج المصري يبذل كل ما يستطيع من نفقات لعلاج زوجته، إذا مرضت، ويستدعي الطبيب لها إلى المنزل، و إذا توفيت حزن عليها حزناً شديداً، ويستمر هذا الحزن فترة طويلة، وقد يصاب بالمرض نتيجة ذلك الفراق.¹

ولم يكتف المصري القديم بتكريم المرأة في حياتها، وإنما نحت لها التماثيل مع عظماء المجتمع بعد وفاتها، ومن ذلك ما وجد في قبر الملكة (حتب حرس) أم خوفو، وزوجة الفرعون (سنفرو)²، ولم يكن مباحاً للرجل أن يتزوج إلا امرأة واحدة من طبقاته، ولكن له أن يتسرى، فتعدد الزوجات عن طريق التسري، كان امتيازاً محصوراً في الطبقات الغنية، التي مارسته.³

ولما كانت بلاد النيل، مهد الحضارات القديمة، وكان المجتمع المصري القديم، يتميز بطابع التمدن والرقى، فقد ظهرت في الحياة الاجتماعية مظاهر بارزة منها:⁴

أ - الختان:

من الفعل ختن، موضع القطع من الذكر، والأنثى⁵، وكانت عادة الختان عند المصريين عامة، حيث اعتبروها من عوامل نظافة البدن، تجري للذكور والإناث، بين سن السادسة والثانية عشرة من أعمارهم في المعابد، ولم تكن فرضاً على الشعب.⁶

ب - الإنجاب

كانت الأسرة المصرية تستقبل المولود الأنثى بقبول حسن، وكان الرجل يدعو ابنته (حبيبة)، وإن كانوا يفضلون الذكر عليها، لأنه وريث والده، ويؤمن له بعد الوفاة القبر المناسب،

¹ يُنظر: علي: حضارة مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى نهاية عصر الأسرات الوطنية)، ص 511.

² يُنظر: عبد الباقي، زيدان: المرأة بين الدين والمجتمع، (د.ط)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1977م، ص 22.

³ يُنظر: الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص 172.

⁴ يُنظر: فضل الله، مريم: المرأة في ظل الإسلام، ط1، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، ص 22.

⁵ يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط2، الرياض، السعودية، دار الثبات، 1997م، مادة ختن.

⁶ يُنظر: السعداوي، نوال: ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين، (د.ط)، بيت جالا، فلسطين، منشورات غصن الزيتون، 2002م، ص 50؛ طه: الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، ص 175.

وحتى يحل محله في المستقبل؛ لأن الوظائف، والمهن عندهم تنتقل بالوراثة¹، وإذا تبين أن المرأة عاقر، كان ذلك كارثة، تستدعي اللجوء إلى الوسائل السحرية، وعمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب، وهذا ما يسمى طريقة (النبط).²

ج - اللباس والزينة

أكثر المصريون من صناعة العطور والروائح الزكية، وقد استحمت النساء المصريات بالماء المعطر؛ لجلو رائحة الجسم، واستعملن الكحل بأنواعه، وطلاء الوجه بالأبيض، وطلاء الشفاه، وتزيين بالخواتم، والأساور، والأقراط، والخلاخيل، وكان الخضاب (الحناء) شائعاً.³

أما الملابس التي كانت ترتديها، فكانت بسيطة من الكتان الأبيض، يكسو الجسم من الثديين إلى القدمين، ويثبت فوق الكتفين بشريطين من النسيج نفسه، أما الخادومات فكن عاريات، إلا من إطار حول الوسط.⁴

وكان الشعر المستعار، جزءاً أساسياً في التجميل عندها، وكان الغرض من استخدامه حماية الرأس من أشعة الشمس، وكانت تزيّن بحبات من الذهب مع الصفائر، وكان هذا الشكل مألوفاً عند الفراعنة⁵، وانتشرت ظاهرة (عروس النيل)، التي تتم بإلقاء فتاة جميلة مزينة بالحلي في نهر النيل ليفيض.⁶

¹ يُنظر: مهران: الحضارة المصرية القديمة (الحياة الاجتماعية والعسكرية والقضائية والدينية)، ص 60.

² يُنظر: صالح، أحمد رشدي: الأدب الشعبي، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصري، 1971م، ص 177.

³ يُنظر: أبو فاضل، وهيب، موسوعة عالم التاريخ والحضارة (حضارات العالم القديم)، ج8، ط1، بيروت، نوبليس للطباعة والنشر، 2003م، ص 80.

⁴ يُنظر: سيف الدين، إبراهيم نمر و آخرون: مصر في العصور القديمة، مراجعة: أ. محمد غربال، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م، ص 192؛ مكاي، فوزي: الناس في مصر القديمة، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، 1995م، ص 70-79.

⁵ يُنظر: درويش: حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية، ص 20.

⁶ يُنظر: حجة: حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، ص 13.

ثانياً: الحياة العلمية والثقافية

أظهرت النصوص والوثائق، أن من الإناث من كن يعرفن الكتابة والقراءة، ويشاركن في الثقافة، ويتذوقن الأدب، ويتراسلن به، وكن فخورات بانتسابهن إلى الربة (سيشات)، راعية الكتابة، والمطبوعات، وادعوا أنها أول من حفظ، و أول من حسب¹، وسمح لبعض الفتيات بالانخراط في تعلّم الطب والجراحة، ومنهن السيدة (بشت) مديرة الطبيبات.²

ثالثاً: الحياة الدينية:

كل من عرف المصريين أعجب بتدينهم، وبعمق إيمانهم، فقد اعتقدوا أن الآلهة هي التي أوجدت الأرض ومن عليها، وهي التي تؤمن الحياة، والمحبة للبشر³، ولم تكن الإلهية منصّباً ذكرياً، فتاريخ مصر القديم حافل بالإلهات، اللاتي كان يقدم إليهن القرابين، ومنهن إلهة الحب والجمال، و (إيزيس) الإلهة الأم، التي قدسوها، وقدسوا من أجلها كل امرأة.⁴

وكان لكل معبد فرعوني مجموعة من الخدم يقومون على رعاية شؤونهم، وكانت المرأة الكاهنة مثل الرجل، وعديدات هن الكاهنات اللواتي كن يخدمن الآلهة (آمون)، و (أوزوريس)، رمز الخصب في وادي النيل⁵، وكانت الملكة كبيرة الكاهنات، تؤدي الطقوس الدينية إما بمفردها، وإما بصحبة الفرعون، وكانت تهيمن على الكهنوت النسوي، وتشرف على إيراداته⁶، وكان الكهنوت النسوي، شأن الكهنوت الذكري، يشكل طبقة مغلقة، مترابطة هرمياً، ذات امتيازات وثروات.⁷

¹ يُنظر: ديروش، كريستان، المرأة في زمن الفراعنة، ترجمة حليم طوسون، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، 2000م، ص 158.

² يُنظر: ديروش، المرأة في زمن الفراعنة، ص 160.

³ يُنظر: أبو فاضل: موسوعة عالم التاريخ والحضارة، (حضارات العالم القديم)، ج8، ص91.

⁴ يُنظر: كحالة، عمر رضا، المرأة في القديم والحديث، ج1، (د.ط)، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1979م، ص120؛ عباس، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب و أنظمتها، ج1، ص291.

⁵ يُنظر: عبد الباقي: المرأة بين الدين والمجتمع، ص 36 - 37.

⁶ يُنظر: عبد المنعم، جبيري: المرأة عبر التاريخ البشري، ط1، سورية، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، 2006م، ص 100.

⁷ يُنظر: المرجع نفسه، ص 100؛ بيتر، مونيك: المرأة عبر التاريخ، ترجمة هنرييت عبودي، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979م، ص 43.

رابعاً: الحياة الاقتصادية

كان مركز المرأة عالياً، يرجع ذلك إلى استقلالها الاقتصادي، فكانت تخرج حيثما تشاء، إلا في الحروب، و تظهر المرأة في الحياة اليومية، بصحبة زوجها، حين يقوم بجولاته في ضياعه، وتراقب الصناعات في أثناء عملهم، وتشهد عملية تعداد الماشية، وتشرف على عمال الحصاد في الحقول.¹

وهناك العديد من المهن التي كانت مفتوحة أمام النساء، ومنها الكهانة، وكانت الكاهنات الملكيات، يدخلن في هذه المهنة وهن صغيرات، ويتعلمن الرقص الديني، أما القابلات، فقد حصلن على بعض مبادئ الطب، وهناك الممرضات اللاتي تمتعن بمكانة اجتماعية طيبة، و هناك النائحات المحترفات، اللاتي يبدأن فتيات صغيرات، ويجلسن مع النائحات المتقدمات في السن، و أذرعهن مرفوعة، ويمثلن كأنما يصرخن بأعلى ما يستطعن من صوت²، ومن المهن التي زاولتها النساء أيضاً، سيدات الأعمال، ومنهن السيدة (ني نفر)، المالكة للأراضي، وصاحبة ثروة ضخمة، في عصر الدولة الحديثة للفراعنة.³

خامساً: الحياة السياسية

توَّج الفراعنة المرأة ملكة، فقد كانت الأم الملكة الوصية على العرش، وهذه الأم تقوم بدور في غاية الأهمية بجوار ابنها، والفراعنة يكونون كل الاحترام لأمهاتهم، و يتم دفنهن بعد الوفاة، في مقابر معدة حسب الطقوس⁴، وهناك العديد من الملكات اللواتي، حظين بمكانة متميزة، منهن، الملكة (حتشبسوت)، التي حكمت مصر، وشيِّدت أحد أعظم الآثار المعمارية، وهو (معبد الدير البحري) على الشاطئ الغربي للنيل، ليس له مثيل في العالم القديم كله.⁵

¹ يُنظر: مري، مرجريت: مصر ومجدها الغابر، (د.ط)، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1957م، ص 164.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 165 - 166.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص 164؛ يُنظر: حجة: حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، ص 14.

⁴ يُنظر: مري، مصر ومجدها الغابر، ص 14 - 15.

⁵ يُنظر: البدوي، خليل: موسوعة شهيرات النساء، ط1، عمان، الأردن، دار البدوي للنشر والتوزيع، 1998م، ص 201.

وتبوأت أيضاً نفرتيتي العرش، وهي ابنة لأحد النبلاء من رجال البلاط الملكي، ووصفت بأنها (ذات المفاتن الجميلة)، و بأنها (حلاوة الحب)،¹ وحكمت كليوباترا، ابنة أنجليوخوس، مصر القديمة، واستطاعت إدارة البلاد²، وللمحافظة على نقاوة الدم الملكي، لجأ الملوك، و أبناء الأسر الغنية، إلى الزواج من الأخوات والقريبات؛ لضمان الإرث الشرعي في الملك.³

المرأة في الفكر الغربي القديم

تفاعلت الحضارة الغربية، مع حضارات الشرق السامي، في سياق العلاقات التجارية، والثقافية، والعسكرية⁴، وكان (الإغريق) في قديم الزمان أكثر الأمم حضارة ومدنية، وكانت أثينا مدينة الحكمة، والفلسفة، والطب، والعلم، ومع هذا كانت المرأة عندهم محتقرة، مهينة، مثل أي سلعة تباع وتشترى، وتذكر الأساطير اليونانية، أن المرأة هي سبب الأوجاع، والآلام للعالم كله⁵، أما الرومان، وهم ورثة حضارة الإغريق وفكرهم، فإنهم التزموا الموقف الإغريقي، من المرأة والاستهتار بها.⁶

وللتعرف على أوضاع المرأة ومكانتها عند الإغريق، والرومان، يجب علينا التوقف عند نواحي الحياة ومنها:

أولاً: الحياة الاجتماعية

كانت المرأة في المجتمع اليوناني، محصنة، لا تغادر البيت، وتقوم فيه بكل ما تحتاج إليه من رعاية⁷، أما في إسبارطة، إحدى المدن اليونانية، فقد توسعوا في إعطائها، شيئاً من الحقوق

¹ يُنظر: ساسون، جوليا: نفرتيتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد، ترجمة: مختار السويفي، مراجعة وتقديم: مختار السويفي، ط2، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998م، ص 38.

² يُنظر: البدوي، خليل: موسوعة شهيرات النساء، ص 212.

³ يُنظر: ديورانت، قصة الحضارة، م1، ج1، ص95.

⁴ يُنظر: طه: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ص 115.

⁵ يُنظر: أبو بكر، علاء: إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، (د.ط)، (د.م)، مركز التنوير، 2005م، ص 15.

⁶ يُنظر: طه: مصطفى، واقع المرأة بين الحضارة والدين، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ن)، 2004م، ص 22.

⁷ يُنظر: جبري، المرأة عبر التاريخ البشري، ص 32.

المدنية، حيث كان أهلها في حرب، وقتال، فكان الرجال يشتغلون في الحرب والقتال، ويتركون التصرف حال غيبتهم للنساء، لذلك كانت المرأة في إسبارطة أكثر خروجاً إلى الشارع، وأوسع حرفة من سائر مدن اليونان¹، وفي إسبارطة، كان الأزواج يعيرون زوجاتهم إلى رجال ذوي قوة ممتازة، حتى يكثر الأطفال الأقوياء، وكان الأزواج الذين أعجزهم المرض، أو الشيخوخة، يدعون الشباب الأقوياء، ليعينوهم على تكوين أسر قوية.²

أما عند الرومان، فقد اعتبر القانون الروماني (الأنوثة) سبباً من أسباب انعدام الأهلية، والحجر، ولما تقدموا خطوات في طريق المدنية والحضارة، خفت قسوة سلطة الرجل على المرأة، ومنحت بعض الحقوق مثل الإرث، والتملك³، والعمر الشرعي للزواج يتوافق مع ارتداء الرجل الثوب الفضفاض المخصص للرجال، والذي يعني القدرة على الزواج.⁴

وكان الإغريق يقدرّون الزواج، ويجعلونه في مرتبة سامية مقدسة، حيث كان الغرض الأساس منه، هو إنجاب الأبناء؛ لضمان دوام بقاء الأسرة⁵، أما الرومان، فقد عرفوا شكلين من أشكال الزواج، أولهما يعرف بزواج السيادة، ويعني تأكيد سيادة الزوج على زوجته، التي يتزوجها إما بالشراء، أو بالطريق الديني الذي يتم في المعبد للأشراف، وفقاً لطقوس دينية معينة، وعلى يد الكاهن، وبحضور شهود، وبعد تقديم القرابين للآلهة، تنتقل السيادة على الزوجة من رب أسرتها إلى زوجها⁶، أما الزواج بلا سيادة، فهو يعني ألا سيادة للزوج على زوجته، وهو شكل من أشكال التطور في المجتمع الروماني، ويهدف إلى التخفيف من حدة سلطان الأب، أو رب العائلة، على أعضاء أسرته، وهذا الزواج يتم باتفاق طرفي الزواج.⁷

¹ يُنظر: السباعي، مصطفى: المرأة بين الفقه والقانون، (د.ط)، السعودية، دار الوراق للنشر والتوزيع، 1999م، ص 14.

² يُنظر: الفقيه، شير: المرأة العربية المعاصرة وإشكالية المجتمع الذكوري، ط1، بيروت، دار البحار، 2009م، ص 59.

³ يُنظر: بيتر: المرأة عبر التاريخ، ص 179.

⁴ يُنظر: عباس، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب و أنظمتها، ج2، ص 711.

⁵ يُنظر: طه، الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، ص 213.

⁶ يُنظر: الفوال: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ص 119 - 120.

⁷ يُنظر: المرجع نفسه، ص 119 - 120.

وعند الزواج كانت الفتاة، تنتقل من وصاية والدها إلى يد زوجها، فتعتبر ابنته، وتقطع سائر علاقاتها مع عائلتها الأصلية،¹ ومن المظاهر الاجتماعية التي ظهرت عند شعوب الإغريق والرومان:

أ - الوأد: سلبت المرأة اليونانية بناتها، فقد كان الرجل إذا شاء انتزع من الأم ابنتها، وتركها في الجبل أو الطريق، في جرة من الفخار، تبكي بكاء يفت الأكباد، ولا تستطيع أن تعارضه، أو تتطق بكلمة.²

ب - اللباس والزينة: فرض اليونانيون على نسائهم الاحتجاب، والانتقاب منذ القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت نساء طيبة (اليونانية) ينتقبن، فلا يرى من وجوههن سوى العيون، وبعض الأزواج لا يكتفي بما كانت تفرضه التقاليد من قيود على حرية المرأة، فكانوا يضعون أختامهم على أبواب دورهم، إذا غابوا عن البيت³، أما الرومان فكانوا يبالغون في حجاب المرأة، إلى درجة أنهم لا يجيزون للقابلة (الداية) أن تخرج من بيتها إلا مخفورة برداء طويل، يلامس الكعبين، ولثام على الوجه، لا يرى منه إلا العينان، وعباءة لا تسمح برؤية قوامها⁴، وقد أسرفت المرأة اليونانية في زينتها إسرافاً كبيراً.⁵

ثانياً: الحياة الدينية

انتشرت عبادة (أفروديت) إلهة الحب، والمثل الأعلى للجمال، في اليونان، تقول أساطيرهم إنها كانت زوجة لإله، ومع ذلك عاشرت ثلاثة آلهة آخرين، ثم عاشرت رجلاً من عامة الشعب، فولدت من بطنها (كيوبيد) إله الحب⁶، وكان للإلهة "أفروديت" وجهها الأسود، فأداتها التي تزرع بوساطتها الحب في قلوب البشر هي نفس السهام التي تؤدي إلى التهلكة، وقد

¹ يُنظر: بيتر، المرأة عبر التاريخ، ص 79.

² يُنظر: الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص 300.

³ يُنظر: بركة: الحجاب رؤية عصرية، ص 149.

⁴ يُنظر: الموسوي: دليل الهداة إلى اختيار شريكة الحياة (المرأة في الإسلام)، ص 58.

⁵ يُنظر: الحوفي: الغزل في العصر الجاهلي، ص 125.

⁶ يُنظر: محمد، صلاح عبد الغني: الحقوق العامة للمرأة، ج1، ط1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1998م، ص

عبدت في إسبرطة، وقبرص إلهة للحروب والمعارك، وصورت في عدة الحرب الكاملة، كما عبدت إلهة للموت تحت اسم (أفروديت المقابر).¹

وكانت بعض المدن في بلاد اليونان، تحتفل بـ (ألفروديسيا) عيدها العظيم، في أول شهر إبريل، وفيه كانت تطلق حرية الاختلاط الجنسي لكل من شاء²، ومن الإلهات التي عبدها اليونانيون أيضاً، الإلهة (جايا)، باعتبارها أمّاً لكل المخلوقات، ومستشارة للآلهة، والبشر³، وعند وقوع المصائب، والمحن، كان قدماء اليونان، يقدمون البنات قرابين إلى آلهتهم؛ لترفع عنهم المصائب.⁴

وكانت المرأة تشارك في شؤون العبادة في سن مبكرة، فقد يعهد إليها، بحمل الآنية المقدسة عند بلوغها السابعة، والفتيات ينسجن، ويطرزن، الأحمررة، والقمصان، لتمثيل الإلهات⁵، وأبواب الكهنوت مفتوحة على مصاريحها أمام المرأة، والكاينة هي التي تقوم على خدمة الآلهة.⁶

ثالثاً: الحياة العسكرية

كانت الفتيات في إسبارطة، يحصلن على تربية عسكرية، أسوة بالصبيان، ويتدربن على استخدام الرمح، وقذف أسطوانة الرمي⁷، والمرأة في بعض مدن اليونان، تشارك في الحرب، وإذا تعرضت للسبي، تُستعمل كأنها شيء من الأشياء الأخرى، وكانت النساء يبكين الجيش المهزوم، لما سيحل بهن بعد موت أزواجهن، فيصبحن ملكاً للجيش الغالب.⁸

¹ يُنظر: السواح: لغز عشتار، ص 223؛ و: خليل، أحمد: في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي، ط1، دمشق، سورية، دار الفكر، 1996م، ص 61.

² يُنظر: عباس: المرأة والأسرة في حضارات الشعوب و أنظمتها، ج2، ص 663.

³ يُنظر: البدوي: موسوعة شهيرات النساء، ص 83.

⁴ يُنظر: الحسيني، مبشر، المرأة وحقوقها في الإسلام، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1984م، ص 8.

⁵ يُنظر: بيتر: المرأة عبر التاريخ البشري، ص 67.

⁶ يُنظر: المرجع نفسه، ص 67.

⁷ يُنظر: المرجع نفسه، ص 60.

⁸ يُنظر: كحالة، المرأة في القديم والحديث، ج1، ص 172.

الفصل الثاني

مكانة المرأة في الفكر الجاهلي

الفصل الثاني

مكانة المرأة في الفكر الجاهلي

أطلق على العصر الذي عاش فيه العرب قبل الإسلام "العصر الجاهلي"، والجاهلية من حيث الاشتقاق اللغوي مصدر صناعي، مأخوذ من الجاهلي نسبة إلى الجاهل، المشتق من الجهل، والجهل في اللغة نقيض العلم، والجهل الذي وصم به الجاهليون هو الجهل الديني، والبعد عن الله، وأطلق على هذه الفترة هذه التسمية؛ للفرقة بينهما، وبين الإسلام ونوره.¹

وعرب الجاهلية لم يحكمهم قانون، ولاسلطان موحد، ونظرتهم إلى الأشياء تختلف من قبيلة إلى أخرى، مع تأثرهم بالحضارة الفارسية من خلال المناذرة في الحيرة، والحضارة الرومانية المسيحية من خلال غساسنة بلاد الشام.²

وقد شكلت المرأة في الوسط البيئي الصحراوي، خير أنيس للرجل، الذي لم تمنعه بداوته، وغلظة طباعه، من بذل العشق والمحبة لها، والاستئناس بها³، وفيما يأتي بيان أوضاع المرأة عند الجاهليين، ومركزها، وحقوقها في الحياة العامة.

أولاً: الحياة الاجتماعية

الأسرة هي الوحدة الأساسية في المجتمع العربي البدوي، وفوق الأسرة كانت القبيلة، التي تتفرع منها عدة فروع، تسمى البطون، والأفخاذ، والعشائر، وكان رئيس حكومة القبيلة أحد شيوخها، ويراعى في اختياره أن يكون من ذوي السن، والشجاعة، والتجربة.⁴

¹ يُنظر: الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ج1، (د.ط)، القاهرة، مصر، دار المعارف، (د.ت)، ص11-12-16.

² يُنظر: النجار، إبراهيم: حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية (دراسة تأصيلية من فقه القرآن الكريم والسنة النبوية والآراء الفقهية المتعددة)، ط1، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1995م، ص25.

³ يُنظر: طه: صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات، ص133.

⁴ يُنظر: السيد، عبد اللطيف: جزيرة العرب قبل الإسلام (عصر الجاهلية)، ط1، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2008م، ص75. و: الخطيب، هاشم: القيم والمثل الخلقية عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة، ط2، إربد، الأردن، دار الكتاب، 2005م، ص129.

وينسب الفرد إلى أسرته، وهو نسب أصل، يقوم على القريب، ويُنسب إلى قبيلته، وهو يقوم على العصبية للدم الأبعد، وهو دم جد القبيلة¹، ومن النواحي الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الجاهلي:

أ) الزواج

تشير الدراسات التاريخية، التي تناولت حياة العرب وأحوالهم إلى حقيقة مهمة، في شأن الزواج، وهي أن الزواج الذي كان سائداً آنذاك، هو ما يشيع في أيامنا هذه، وهو ما نسميه بالزواج الشرعي، وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته، فيعين صداقها (مهرها)، ويسمي مقداره، ثم يعقد عليها، وبهذا الأمر يتم العقد بعد موافقة ولي المرأة، أو من ينوب عنها، فتكون المرأة حقاً مشروعاً لزوجها.²

وكان الزواج يتم على مهر يدفعه الرجل، وكان العرب قبل الإسلام إذا زوج الرجل وليته، فإن كانت معه في العشرة لم يعطها من مهرها كثيراً، ولا قليلاً، وإن كانت قريبة حملها على بغير إلى زوجها، ولم يعطها شيئاً غير ذلك، وأعز مهورهم الذهب السبيك، فقد مهر عبد المطلب بن هاشم، فاطمة بنت عمرو مائة ناقة، ومائة رطل من الذهب³، ولما جاء الإسلام أمر الله تعالى، بإعطاء المرأة حقها في المهر، بقوله: "وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا"⁴.

وكان العرب في الجاهلية، يؤثرون الزواج من بنات الأسرة، أو العشيرة، وهو ما يعبر عنه بالزواج من داخل الجماعة، ومن هنا نشأ عندهم حق ابن العم في الزواج من بنت عمه،

¹ يُنظر: سليم، أحمد: جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، (د.ط)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005م، ص273.

² يُنظر: المبيضين، ماهر: الأسرة في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1998م، ص14.

³ يُنظر: بطانية، محمد ضيف الله: الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام، ط2، عمان، دار طارق للنشر والتوزيع، 1997م، ص15. يُنظر: عفيفي، عبد الله: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ط1، القاهرة، دار إحياء الكتب، 1921م، ص158.

⁴ النساء، الآية 4

وهم يرون أن الزواج من بنت العم، يشد روابط الأسرة، ويحفظ ثروتها، فلا تبدد بالمهور، ثم إن بنت العم تتحمل من ابن عمها مالا تتحمله الغربية، ولذلك يقولون: "بنات العم أصبر".¹

وقد قالت جارية من العرب لبنات عم لها: "السعيدة التي يتزوجها ابن عمها، فيمهرها بتيسين، وكلبين، وعيرين، فينبُ التيسان، وينبح الكلبان، وينهق العيران، والشقية التي يتزوجها الحضري، فيطعمها الخمير، ويلبسها الحرير، ويحملها ليلة الزفاف على عود".²

ومع شيوع إيثار ابن العم، فإن البعض الآخر منهم، كان يراعي الزواج من نساء غريبات؛ لأن ذلك ينتج أطفالاً أصلب، ويقل احتمال الشجارات العائلية، حيث يقولون: "بنات العم أصبر، لكن الغرائب أنجب".³

وهذا التنوع الملحوظ في عادات الزواج في جزيرة العرب قبل الإسلام، يتبعه نبذ لزيجات من أناس ذوي عادات مختلفة جداً، تعير وتدم القبيلة بأكملها، إذا أقدم أحد أفرادها على هذه العادة، فمثلاً قبيلة الحميرين الذين لا يختنون نساءهم، ولا يتقززون من أكل الجراد.⁴

ولم يسمح للمرأة بالزواج من رجل أعجمي، أو زواجها من عشيرة أو قبيلة أدنى مكانة، فكان يراعى التكافؤ في الزواج، فالأشراف لا يتزوجون إلا من طبقة مكافئة لهم، والسواد لا يتجاسرون على خطبة ابنة أحد الوجهاء، ويُعير القوم السيد الشريف أن تزوج ابنته من عامة الناس، ولا سيما إن كان يعمل في إحدى الحرف البدوية، لأنها حرف العبيد، كما لم يكن من الممكن تزويج الفتاة الأصلية الحرة من ابن عبد أو حفيد عبد، حيث إن سمة العبودية صفة تلازم الأسرة، وإن تحررت وصارت غنية.⁵

¹ يُنظر: الترماني، عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام - دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشرعية-، ط3، دمشق، دارطلاس، 1996م، ص136.

² يُنظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، م3، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1994م، ص71.

³ يُنظر: الترماني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام - دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشرعية-، ص136.

⁴ يُنظر: ربرت، هلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام (3200 ق.م - 630م)، ترجمة عدنان حسن، مراجعة زياد منى، ط1، بيروت، لبنان، قدس للنشر والتوزيع، 2010م، ص162.

⁵ يُنظر: سليم: جوائب من حضارة وتاريخ الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص275.

وكان يطلق على ابن العربية، إذا حدث هذا الزواج المكروه صفة (الهجين)، وكان 'يعرّبه ويطلق عليه صفة (المولد)، وكانت دية (الهجين) نصف دية (الصريح) أي صافي النسب العربي، كما يسمى الولد من زواج أعجمي بعربية بـ(المقرف).¹

وللزواج عند العرب يومان: يوم الإملاك، وهو يوم العقد، ويوم البناء، وهو يوم الدخول. وكان في هذا اليوم تجري الاحتفالات بالعرس في بيتي آل العروسين، ومناسبة للتعارف بين الفتيان والفتيات، وتحمل العروس إلى بيت زوجها في موكب من النساء والرجال، وتوضع في (محفة) مدت بالأنماط من الحرير بالرسوم المبهجة الألوان، وقد تتم الزفة في الليل أو في النهار، وعند وصول العروس عند عتبة زوجها، تذبج ذبائح عدة؛ طرداً للأرواح الشريرة، وإرضاء لها، ويقال لهذه الذبائح ذبائح الجن، وكذلك يحمل العريس إلى بيته بزفة مماثلة من الرجال بالدفوف والغناء، بعد أن يقيم ذوو القرابة، له وليمة لهذا الغرض، وقبل أن تزف العروس إلى بيت الزوجية، فإنها تجمل، وتزين، والتجمل يكون بتكحيل العيون، وتقوم الماشطة المختصة بتسريح شعرها، وقد عرفت المرأة الجاهلية الشعر المستعار، فوصلت به شعرها، وكانت تقوم بذلك مختصة تدعى (الواصلة)، ولكن العروس لا تعمل على وصل شعرها في يوم عرسها، لأنه قد يفتضح أمرها، أمام زوجها، ولم تكن تلجأ إلى وصل الشعر، إلا من افتقدت طوله أو كثافته أو جماله، وكانت أيضاً تحلى بالأساور في معصمها، والخالخيل في ساقها، والأقراط في أذنيها.²

وبهذا المنظر تزف العروس إلى زوجها، وعندما يتم الزواج يعرض دم البكارة على الأقارب؛ ليكون شاهداً على سلامة الشرف، وعفة البنت، ويحتفل بذلك بالزغاريد، والفرح، وتحضر وليمة أخرى، يشترك فيها الأقرباء، والجيران، والأصدقاء.³

¹ يُنظر: صباغ، ليلى: المرأة في التاريخ العربي، (د.ط)، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1975م، ص141.

² يُنظر: عيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص155. يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص167-168.

³ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص171.

ويعبر الجاهليون عن فرحهم بارتداء أجمل ملابسهم، وإلقاء النثار على الحاضرين، ونثر العرب التمر¹، ونظراً لطبيعة مناخ بلاد العرب، الذي يتميز بشدة الحرارة، وعدم وجود وسائل تسلية، وترفيه كافية لقضاء أوقات فراغهم، اتجه العرب إلى الزواج، وتعدد الزوجات، حتى صار من الأمور المعتادة لديهم، ولهذا التعدد دوافعه، كالرغبة في إنجاب عدد كبير من الأولاد، حتى يكونوا عزوة للأهل، أو بدافع اقتصادي، أو سياسي.²

وكانت المرأة الجاهلية تقبل بحق الرجل الزواج بأكثر من واحدة، لأنها كانت على استعداد مبدئي للاقتران بالرجل، مهما كان عدد نسائه قبلها، إذا توافرت فيه بعض الصفات ومنها السيادة، على أن قبول المرأة لمبدأ تعدد الزوجات، لم يمنعها من الثورة فكراً عليه، والنظر إلى الزوجات الأخريات على أنهن ضرر لها، ولذا سمين بـ (الضرائر).³

وكل زوجة تشعر أن انصراف قلب زوجها عنها، هو المنطلق الأول في تزوجه بأخرى، وقتئذ تلجأ إلى السحر عله يكسب لكل واحدة المكانة الأولى عنده، ويضعف من رابطته مع الزوجات الأخريات، ومن الوصفات والصفات السحرية، الخرزات ومنها (الدردبيس) وهي خرزة شفافة سوداء، تتحبب بها المرأة إلى زوجها، ويعتقد أنها مجلوبة من قبور عاد، وقد تعيش الضرائر تحت سقف واحد لكل واحدة حجرة خاصة، لكن العلاقة بين الضرائر بشكل عام علاقة مسمومة ومنغصة.⁴

وراعى العرب في اختيار الزوجة، أن تكون من ذوات الحسب، والنسب، وأن تتميز بحسن الحديث، والاشتغال بمكارم الأخلاق، وأن تكون ولوداً، وكانوا يؤثرون الزواج من الفتاة البكر، وأن تكون من القبيلة نفسها، وكرهوا الجمال البارح، لما قد ينتج عنه من شدة الدلال، وسوء عواقب الفتنة، وكان يعيب المرأة الكذب، والنميمة.⁵

¹ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص13.

² يُنظر: سليم: جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص273.

³ يُنظر: الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص200.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص201-202.

⁵ يُنظر: سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص274.

وقد حرم العرب الزواج من بعض الأقارب، وذلك طبقاً لقاعدة علاقة الأصل بالفرع، ومن ثم حرم الزواج بالأخوات، والأبناء، والحفدة، والعمات، والخالات، وأبناء الأخت، فقد كانوا يحرمون كل زواج يقع من المحارم.¹

وتمتعت المرأة في الجاهلية بحظ في اختيار زوجها، فلم تكن تقسر على زوج لا ترغب فيه، وكان يؤخذ رأيها في الزواج، وفي بعض الأحيان تزوج نفسها بنفسها، وتحتار في أحيان معينة ما ترضاه من الرجال زوجاً لها، فالسيدة خديجة اختارت النبي محمداً صلى الله عليه وسلم؛ لقربته، وشرفه، وحسن خلقه، رغم كونه آنذاك من الفقراء، وكان للأُم رأي في تزويج ابنتها²، ومن الأمثلة أيضاً على حرية اختيار المرأة للزوج، وإبداء الرأي في ذلك، قول هند بنت عتبة بن ربيعة³ لأبيها، حين كان الخطَّاب يطلبون يدها: "إني امرأة قد ملكت أمري، فلا تزوجني رجلاً، حتى تعرضه عليّ، فقال: لك ذلك"⁴، وعلى الرغم من هذه الأمثلة، فإنه لا يمكن نفي حالات، من الزواج القسري، تجبر فيه الأنثى على شخص يريده ولي الأمر، ولا ترضاه هي.⁵

وكان النكاح في الجاهلية على أنحاء، فمنه نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها، أي يعين صداقها، ويسمي مقداره، ثم يعقد عليها، وكانوا يخطبون المرأة إلى أبيها، أو أخيها، أو عمها، أو بعض بني عمها، وكان الخاطب يقول إذا أتاهم: "أنعموا صباحاً، ثم يقول: "نحن أكفأؤكم، ونظراؤكم، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة، وأصبتمونا وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلّة نعرفها رجعنا عاذرين، فإن كان قريب القرابة من قومه، قال لها أبوها أو أخوها إذا حملت إليه: أيسرت، وأذكرت، ولا أنثت، جعل الله منك عدداً، أو عزاءً، أو خلداً، أحسنني خلقك، وأكرمي زوجك، وليكن طيبك الماء"، وإذا زوجت في غربة قال

¹ يُنظر: سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص280.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص274-275.

³ من ربات الحسن، والجمال، والرأي، والعقل، والفصاحة، والشعر، والأدب، كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ج5، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1977م، ص239-240.

⁴ يُنظر: جبران، سحم آل ثاني: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص268.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص269.

لها: "لا أيسرت ولا أذكرت، فإنك تدنين البعداء، أو تلدين الأعداء، أحسنني خلقك، وتحببي إلى أحمائك، فإن لهم عيناً ناظرة إليك، وأذناً سامعة إليك، وليكن طيبك الماء".¹

وكانت قريش وكثير من قبائل العرب على هذا المذهب من النكاح، الذي يطلق عليه بزواج الصداق أو (البعولة)²، وهناك أنواع أخرى من الزواج انتشرت في الجاهلية، مثل زواج السبي، ويقضى بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللاتي وقعن سبياً، ولا يشترط فيه أن يقدم الزوج مهراً³، وهناك زواج الضيزن، وهو المعروف بزواج المقت، وكان ممقوتاً من معظم العرب، رغم وجوده، وفيه أن المرأة حين يموت زوجها، كان أكبر أبنائه يعتبر نفسه أولى بزوجة أبيه، فيلقي ثوبه عليها، فيملك حرية زواجها، أو منعها، حتى تموت فيرث ميراثها، وإن لم يكن لأب أكبر الأولاد رغبة فيها، تزوجها أحد أخوته بمهر جديد، وهذا المهر ترضية للابن الأكبر بسبب تنازله عن حقه في امرأة أبيه إلى من له رغبة فيها من أخوته، شرط ألا يكون من أبنائها، وإنما من زوجات آخر⁴، وهناك زواج المتعة، وهو زواج محدد المدة، وكان الدافع إليه التنقل والأسفار والحروب، وينسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم، وذلك بسبب اتصالهم بالأم، ولارتحال الأب عن الأم في الغالب، فتقطع الصلات بينهم، وبين الأب، ولكن هذا لا يمنع من انتساب الأبناء إلى الأب، ومن حقهم في الإرث.⁵

أما زواج الإماء، فقد كان من حق العربي أن يتزوج أمته، فإذا أنجب منها أبناء لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه، بل يظلوا عبيداً له، وقد يعتقهم إذا رغب في ذلك⁶، ومن أنواع النكاح أيضاً، زواج الشغار، وهو زواج لا صداق فيه، حيث يتزوج الشخص من امرأة في مقابل أن يتزوج من تزوج منهم بامرأة أخرى، وهذا الزواج قريب من زواج البدل، نهى الإسلام عنه.⁷

¹ يُنظر: الآلوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص 3-4.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص5.

³ يُنظر: سالم، عبد العزيز: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)، ص446.

⁴ يُنظر: سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص278.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص279.

⁶ يُنظر: سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، ص446.

⁷ يُنظر: سليم، جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص279.

أما أوقات عقد النكاح، فقد كان الجاهليون يكرهون النكاح في شوال، ويتطرون منه، ولما جاء الإسلام أبطله النبي -محمد صلى الله عليه وسلم-، بالنكاح من عائشة رضي الله عنها في هذا الشهر¹، وقد انتشر الزواج المبكر في الجاهلية، ويسمى زواج الصغيرة (الاهتجان) وهو الزواج قبل البلوغ للبنات، و(الإلتباء) للولد، وهو تزويج الولد صغيراً بعد البلوغ، والغرض منه تكثير نسله²، وانتشرت المصالح، والتحالفات في الجاهلية؛ ليظهر الزواج السياسي الذي يعقد بين الملوك والرؤساء؛ ليكون رابطة بينهم، وقوة ومنعة.³

والزواج في الجاهلية، إذا أراد أن يكون له ولد ذكي، شجاع، طلب من زوجته بعد انتهاء الطمث أن تذهب إلى من اشتهر بتلك الصفات وتطلب منه مضاجعتها⁴، وكان الفقر والجوع يدفعان نساء الجماعات الفقيرة في زمن القحط إلى معاشرة الغرباء، حيث يذهبن في المواسم التي تعقد فيها الأسواق لمضامدة الرجال الأغنياء، حتى إذا غنين بالمال والطعام عدن إلى أزواجهن، وهذا الزواج يطلق عليه زواج المضامدة.⁵

هذه بعض أنواع النكاح الجاهلي، التي انتشرت في المجتمع عندهم، أقبل بعضهم عليها، وابتعد بعضهم الآخر، لكنها ظلت قائمة حتى مجيء الإسلام، وكان من عادة العرب في الجاهلية، أن المرأة منهم إذا عسر عليها النكاح، نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجبت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً، وتقول: "يالكاك! أبغي النكاح، قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج"⁶، وهذا طقس من الطقوس الجاهلية في مناجاة الآلهة؛ لتيسير الزواج، وكانوا

¹ يُنظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص72.

² يُنظر: العلوي، هادي، فصول عن المرأة، ط2، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 2003م، ص25.

³ يُنظر: الترميني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام -دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشريعة-، ص133.

⁴ يُنظر: الفقيه، المرأة العربية المعاصرة وإشكالية المجتمع الذكوري، ص58.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص61.

⁶ يُنظر: البرقوق، عبد الرحمن: دولة النساء (معجم ثقافي، اجتماعي، لغوي عن المرأة)، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2004م، ص662.

يسمون الليلة التي تُفترع فيها المرأة شيباء، والشيباء التي يغلب فيها الزوج زوجته، وسَموا الليلة التي لا يقدر فيها الزوج على ذلك الليلة الحرة، ويقولون للرجل بعل المرأة، وللمرأة بعلته.¹

ب) الطلاق

كان الطلاق في الجاهلية جائزاً، وكانوا يطلقون ثلاثاً على التفرقة، وأول من سن ذلك لهم إسماعيل ابن إبراهيم، وهذا الطلاق شاع عند أهل مكة، فكان من حق الرجل مراجعة زوجته في الطلاقين الأول والثاني، أما إذا وقع الطلاق الثالث، فكان يعتبر طلاقاً بائناً²، وكان يجيز للرجل الذي طلق امرأته طلاقاً بائناً، أن يعود إلى خطبتها من جديد، وبمهر جديد، إن لم تكن قد تزوجت، فإن شاء أهلها، زوجها له، وإن شاؤوا زوجها لغيره.³

والطلاق في الجاهلية يقع بطريقة اللفظ، إذ كان اللفظ هو الأسلوب الوحيد، لإبرام العقود؛ بسبب انتشار الأمية، ومن صيغ الطلاق اللفظية، الإيلاء: وهو أن يولي الرجل من زوجته السنة والسنتين، وأكثر إيذاء لها، فلا يقربها، ومنها أيضاً الظهار: وهو قول الزوج لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، ويريد تحريمها على نفسه، تحريماً مؤبداً، وأول من ظاهر النساء بمكة هشام بن المغيرة.⁴

وقد أبطل الإسلام الظهار وحرمه، قال تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ)⁵.

¹ يُنظر: الطرابلسي، نوفل: صناعية الطرب في تقدمات العرب، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، 1982م، ص64.

² يُنظر: الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج2، ص492و: سليم: جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص281.

³ يُنظر: سليم: جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص281.

⁴ يُنظر، فوزي، إبراهيم: أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، ط2، لبنان، دار الكلمة للنشر، 1983م، ص125 - 126و: الفاكهي، أبو عبد الله بن محمد بن إسحاق الملكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ج5، دراسة وتحقيق عبد المالك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، 1986م، ص337.

⁵ المجادلة، الآية 2.

ومن العبارات التي كانت تشير عندهم للطلاق، قول الرجل لزوجته، إذا أراد طلاقها: (حبلك على غاربك)، أي خليت سبيلك، أو (إلحي بأهلك)، أو (فارقتك)، (سرحتك)، وكل هذه العبارات كناية عن الطلاق، ونابعة من بيئة الجزيرة العربية، والبداءة واضحة فيها.¹

أما عدة المرأة المطلقة في الجاهلية، فلم تكن واضحة، فهناك من ذهب إلى أن المطلقة تعتد، وأن الرجل إذا طلق زوجته طلقها في طهر، وكانت حيضة واحدة، فإذا لم يراجعها بانته منه، وأصبحت حرة بالزواج من غيره، أي أن الجاهليين كانوا يعتبرون المرأة إذا حاضت مرة واحدة تكون قد استبرأت رحمها من الحمل، وحق لها بالزواج، وآخرون ذهبوا إلى أنها لم تكن تعتد، وأن بعض النساء قد ولدن من أزواجهن الذين طلقن منهم، وهن في عصمة الآخرين، وكان المولود ينسب إلى الرجل الآخر.²

ومع أن الطلاق كان حقاً من حقوق الرجل في الجاهلية، يستعمله متى شاء إلا أن أشراف قريش والعرب، كانوا إذا زوجوا بناتهم، يشترطون على الرجل أن يكون طلاق ابنتهم بيدها، إذ تستطيع المرأة بهذا الشرط أن تطلق زوجها متى كرهته، أو أساء معاملتها³، وكان لهن طريقة في إعلان الطلاق، فإن كانت المرأة في بيت من شعر، حوّلت الخباء، فإن كان بابها قبل المشرق، حولته قبل المغرب، وإن كان قبل اليمن، حولته قبل الشام، فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتها⁴، أما الحضريات فكان لهن طريقة أخرى في التطليق، ذلك أنهن لا يقدمن للزوج طعامه إذا أصبح.⁵

ت) اللباس والزينة

لبست المرأة الجاهلية ضروباً من الثياب مختلفة فنونها، وألوانها، مما أخرجته اليمن، وعمان، والشام، والعراق، وبلاد فارس، ومنها ما رق نسجه، ودق خيطه، وذلك ما نسميه

¹ يُنظر: سليم: جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية قبل الإسلام، ص28.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص134.

³ يُنظر: فوزي، أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، ص130.

⁴ يُنظر: هلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام (3200 ق.م - 630م)، ص162.

⁵ يُنظر: الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص267.

بالمهل، ولهن في ذلك الأبيض، والأسود، والأحمر، وهناك المذهب وهو ما حبك نسجه بخيوط من الذهب، والموشى وهو ما اجتمع عليه الزخرف.¹

وفرّق العرب بين لباس الحرة، ولباس الأمة، ولباس الحرة العربية هو لباس السيدة خديجة التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وهو ثوب طويل يستر القسم الأسفل من الجسد، لعدم وجود ألبسة داخلية وقتها، وفضفاض يسمح لها بحرية الحركة في أعمالها وتحركاتها داخل البيت وخارجه، ولم يكن في الثوب فتحات أو جيوب²، أما لباس الأمة، فقد كان مختلفاً، وذلك لأن الأمة تعمل عند أسيادها على الطعام والشراب، وكافة الأعمال المنزلية، بالإضافة إلى اختلاف المكانة الاجتماعية بين الحرائر والإماء.³

وتنوّعت أغطية الرأس عند المرأة، وكان الحجاب في العصر الجاهلي على أشكال شتى، وربما كان الحجاب ناتجاً عن تأثر بعض أبناء المجتمع العربي بالنصارى، واليهود، الذين كانوا يعيشون بين ظهرائي العرب في أرض الشام، والحجاز، واليمن، ونجران، وكان هؤلاء يضعون الحجاب كأصحاب أي دين سماوي، وتمسك العرب به، ولم يتخلوا عنه إلا في أيام الندب أو الحرب⁴، ومن أغطية الرأس عند المرأة الخمار وهو: "ما تغطي به المرأة رأسها، وتخمرت بالخمار لبسته"⁵، وأيضاً القناع وهو: "ما تتقنع به المرأة من ثوب تغطي به رأسها ومحاسنها"⁶، ومن أغطية الوجه اللثام: "وهو رد المرأة قناعها على أنفها، وردّ الرجل عمامته على أنفه"⁷، إن وجود هذه الملابس بأنواعها المختلفة، دليل على ترفها في المجتمع الجاهلي.

وهناك طقوس معينة تتبع في حجاب المرأة، فالفتاة إذا حاضت أدخلت دار الندوة، ثم شق عليها درعها، وبعد انتهاء هذه المرحلة التي يتولاها شخص معين، تعود إلى أهلها فيحجبها،

¹ يُنظر: عفيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص132.

² يُنظر: صلاح الدين، صفية: المرأة بين الأعراف والدين، ط1، القاهرة، مركز المحروسة، 2005م، ص94.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص95.

⁴ يُنظر: جكلي، زينب: ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي، مجلد الأحمديّة، ع1، 1998م، ص375.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة خَمَرَ.

⁶ المرجع نفسه، مادة قَنَعَ.

⁷ المرجع نفسه، مادة لَثَمَ.

وهذا الطقس يعني أن الفتاة قد بلغت الحيض، وانتقلت من مرحلة الصبا إلى مرحلة الأنوثة الكاملة، ويجب سترها وتغطيتها¹، وقد كان أهل الجاهلية لا تساكنتهم حائض في بيت، ولا تؤاكلهم في إناء، وكانوا في أيام حيضهن يتجنبون إيتاءهن في مخرج الدم، وإيتاءهن في أدبارهن، ولا يسمح للحائض بدخول الكعبة، أو الطواف بها، أو لمس الأصنام، لأنها غير طاهرة.²

وتزينت المرأة بالحلي؛ لتضيف إلى جمالها تجملاً، وتزهى به، وتفاخر، فتعددت حليها، ولكل عضو من أعضائها جسدها زينة تتناسبه، وتظهره في صورة أكثر جمالاً، ففي اليد يوضع السوار، وتزين ساقها بالخلاخل، وهي بقايا القيود التي كانت المرأة توثق بها عند اليونان³، أما الأذن فمن أنواع حليها (القرط)، أو (الشنف)، وهو في أعلى الأذن، والقرط في أسفلها، ويساعدان على إبراز طول عنق المرأة، وجماله.⁴

ومن أدوات الزينة والتجميل عند المرأة، استخدام الطيب والعطور بأنواعها المختلفة، والطيب عندهم على نوعين، صنف يتبخر به، ودهن يدهن به، فمن الأول الصندل، والساج، وهو شجر يسيل منه لبن كالعسل في طعمه، ومن الثاني العنبر والمسك، وهي أزكى أصناف الطيب عندهم⁵، ومن الأدوات أيضاً الكحل والخضاب (الحناء)، فكانت المرأة تعرف كيف تستخدم الكحل في إظهار جمال عينيها، ويعد الكحل من الأدوات المهمة للزينة، قديماً وحديثاً.⁶ وعرفت النساء في الجاهلية الوشم، وكن يغرزن أجسادهن بالإبر، لتبرز الأشكال عليها.⁷

¹ يُنظر: عوض، ريتا: بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، ط1، بيروت، دار الآداب، (د.ت)، ص204.

² يُنظر: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، (د.ط)، بيروت، دار العلم للملايين، 1970م، ص55.

³ يُنظر: كفاي: منذر، صورة المرأة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، ط1، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2009 م، ص46. يُنظر: حسن، ديب: المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، ط1، دمشق، سورية، صفحات للدراسات والنشر، 2007م، ص20.

⁴ يُنظر: كفاي: صورة المرأة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، ص46.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص47. ينظر: عفيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص132.

⁶ يُنظر: كفاي: صورة المرأة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، ص47.

⁷ يُنظر: القرعان، فايز: الوشم والوشى في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1984م، ص12.

ث) الإنجاب

كان الهدف الأساس من الزواج هو الإنجاب، والإنجاب عند العرب يمثل ضرورة في مواجهة الإحساس بالفناء طلباً لخلود الذكر، وللعز والكثرة، ولهذا كان العرب يعظمون الأم ولا يعزون المرأة إلا أن تكون أمّاً، وكان الفخر بالأم جنباً إلى جنب مع الفخر بالأب، وكان النسب إلى الأم شائعاً في القبائل العربية، سواء في أهل الجنوب، وأهل الشمال، في الحضر والبدو، أكانت الأم حرة أم أمة، ومن هذا القبيل اشتهار (عمرو) ملك الحيرة بـ (عمرو بن هند).¹

وكانت المرأة الجاهلية، إذا تأخرت في الإنجاب لجأت إلى الكاهنات، وقد تمنح منهن بعض طبهم من أعشاب، ونباتات، وبعض الخرزات التي تعلقها في أجزاء جسمها²، وكان الحمل فرصة كبيرة للمرأة والرجل على السواء، يحقق كل واحد منهما فيه ذاتيته النوعية الخاصة، وهدفاً من أهداف وجودهما الإنساني، وميلاد الطفل الذكر فرصة أكبر لكليهما، حيث كانوا يعتبرون أن كثرة الذكور من المفاخر التي يفتخرون بها، وكان يستقبل المولود بدعك فمه بالتمر، أو الحلو مثل العسل، ويشير ذلك إلى التفاؤل، وكانت تذبح شاة عند ميلاده، ويلطخ شيء من دمها برأس المولود، ويقولون لهذه الذبيحة (العقيقة)، وكانت تذبح عادة في اليوم السابع من ميلاد المولود³، ولا بد من الإشارة إلى أن العقيقة لا زالت مستمرة إلى يومنا هذا، وهي سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وتطعم المرأة الوالدة طعاماً خاصاً يصنع لسلامتها من الطلق ويسمى بـ (الحُرس)، وترقى، وينقط بين عينيها من نسج شجر السمرة، حفاظاً عليها من الجن والعين⁴، أما المرأة العاقر فكانت لا تحسد على وضعها، شأنها في ذلك شأن المرأة الولود للبنات، أي أن مصيرها الطلاق، أو الزواج عليها.⁵

¹ يُنظر: يوسف، عبد الجليل: عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2007م، ص 27 - 28.و: عفيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص 76 - 77.

² يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص 84.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص 88.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص 88.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص 83.

وكان الرجل الجاهلي إذا قيل له: "إن زوجتك قد أنجبت، يسأل: وما أنجبت؟ فإذا قيل له: أنجبت أنثى، قال: ما هي نعم الولد، نصرها بكاء، وبرّها سرقة، إذا أرادت أن تتصرني تبكي وتولول، ولا تستطيع أن تحمل السلاح، وإذا أرادت أن تبر أباه وأهلها سرقت من زوجها"¹، ورغم تفضيل العرب المولود الذكر، إلا أن البعض اعتبر الفتاة مصدر رزق عند زواجها، فتأتي له بـ (حلوان) أي مهرها، وهو ما كان يسمى (النافجة)، لذا كان يقال للأب عند ميلاد ابنة له: "هنيئاً لك النافجة"، أي المعظمة لمالك.²

ج) الوأد:

جاء في لسان العرب: "وأد ابنته وأداً دفنها بالقبر وهي حية، وامرأة وثيدة موعودة"³، وهي المذكورة في القرآن الكريم: (وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).⁴

وقد بلغ بعض العرب من كراهيتهم للبنات، حد دفنهن وهن أحياء، وهذا ما يطلق عليه (الوأد)، وكان في مكة جبل يقال له (أبو دلامة) كانت قريش تدفن فيه البنات⁵، وكان الوأد يتم بقسوة، إذ كانت البنت تدفن وهي حية، وكانوا يتغنون في هذا بشتى الطرق، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها، حتى تكون في السادسة من عمرها، ثم يقول لأمها: "طيبها وزينها حتى أذهب إلى إحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحاري، ثم يدفنها فيه، ويهيل عليها التراب، وكانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلبت فوق حفرة محفورة، فإذا كان المولود بنتاً رمت بها فيها، وردمتها، وإن كان ابناً قامت به معهم، وبعضهم إذا نوى ألا يئد الوليدة، أمسكها وألبسها جبة من صوف، أو شعر، وأرعاها إبله، أو غنمه في البادية.⁶

¹ يُنظر: حسن، علاء الدين: المرأة في التصور الإسلامي، المجلة الثقافية، ع 62، 2004م، ص96.

² يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص81.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة وأد.

⁴ التكويز، الآيتان 8-9.

⁵ يُنظر: علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص94.

⁶ يُنظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص297 - 298.

ومن أسباب الوأد، وأد البنات ذوات العاهات، فكان العرب يئدون الزرقاء، والبرشاء، والكسحاء، تشاؤماً منها، ويأساً من تزويجها، وفيها عاهة¹، وأحياناً كان الوأد تأثراً بعبادة قديمة قدمت فيها الإناث قرابين إلى الآلهة، على نحو ما عرف عن مصر قبل الإسلام، برمي عروس للنيل ضحية وقرباناً²، ومنهم من يئد خوفاً من الفضيحة والعار أو الفقر، والإملاق³، ويمكن أن يرد الوأد أيضاً إلى سبب اقتصادي، فالأغنياء يكرهون الإناث، خوفاً من تفتيت ثرواتهم.⁴

وتعددت الروايات عن أول قبيلة وأدت من العرب، ويقال إن من سن قانون الوأد قبيلة تميم، وذلك عندما حاربهم النعمان بن المنذر، فأسر نساءهم ولما أرادوا افتداءهن، رفضت بنت قيس بن عاصم المنقري⁵ شيخ بني تميم، أن تُفدى من الأسر، وفضلت البقاء مع من أسرها، فقرر مع قبيلته قانوناً أن يئد كل بنت تلد، فقلدته العرب، حتى انتشر بين القبائل.⁶

لم تكن ظاهرة وأد البنات منتشرة في كل القبائل العربية، لأنه لو صح هذا التعميم لانقرض الجنس النسائي من شبه الجزيرة العربية، ومن العشائر العربية التي وأدت البنات: ربيعة، وكندة، وطبي، وتميم.⁷

¹ جياووك، مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، (د.ط.)، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1977م، ص135

² محمد، الحقوق العامة للمرأة، ج1، ص53.

³ يُنظر: شعيب، حسن: العرب في العصر الجاهلي، ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، 2004 م، ص79، ولكن، ج، أ، الأمومة عند العرب، نقلها ترجمة بندلي صليبا الجوزي، (د.ط.)، (د.م.)، (د.ن.)، 1902م، ص49

⁴ يُنظر: محمد، الحقوق العامة للمرأة، ج1، ص53.

⁵ قيس بن عاصم بنت سنان المنقري التميمي، أحد أمراء العرب وعقلائهم، والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، كان شاعراً اشتهر وساد في الجاهلية، وهو من حرّم على نفسه الخمر فيها، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد تميم، في السنة التاسعة للهجرة، فأسلم، الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج5، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م، ص206.

⁶ يُنظر: فضل الله: المرأة في ظل الإسلام، ص17. و: العلي، صالح: محاضرات في تاريخ العرب، (د.ط.)، بغداد، مطبعة المعارف، 1955م، ص81. يُنظر: أبو عواد، إبراهيم، الأساس الفكري للجاهلية، ط1، عمان، الأردن، دار اليازوري، العلمية للنشر والتوزيع، ص82.

⁷ يُنظر: حمدان، حسين: حواء التي أنصفها الإسلام، ط1، القاهرة، دار الإسراء للنشر والتوزيع، 1999م، ص17. و: حمودة، منتصر: الحماية الدولية لحقوق المرأة - دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية-، (د.ط.)، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007م، ص22-23. و: البستاتي، بطرس: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ط7، بيروت، دار صادر، 1957م، ص27.

وقد نهض من سادات العرب من حال دون الوأد، بما بذل من مال جم، وسعي حميد، ومن بين هؤلاء صعصعة بن ناجية التميمي، الملقب بـ(محيي المؤودات) وهو جد الشاعر الفرزدق، فقد كان يتلمس من مسها المخاض، فيغدوا إليها ويستوهب الرجل حياة مولود إن كان بنتاً، على أن يبذل في سبيل ذلك بغيراً، وناقنتين، وقد افتدى أربعمئة وليدة¹، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل القرشي، الذي إذا أبصر رجلاً يهم بوأد ابنته طلب منه عدم دفنها، مقابل أن يعطيه مؤونتها.²

ح) الوفاة والميراث

لزمّت الأرملة عند العرب في الجاهلية الحياة في عزلة بعيدة، عن كل مظاهر التزين، والتجمل لمدة عام كامل، قبل السماح لها باستئناف حياتها العادية، والدخول في رابطة زوجية جديدة³، وكان على الزوجة المتوفى زوجها، واجب ديني خاص، هو ما يسمى (رمي البعرة) وهو طقس تطهيري، تعرفه معظم المجتمعات البدائية على اختلافات يسيره في مراسيمه، وذلك يعود في اعتقادهم إلى أن الزوج الميت يلاحق ويراقب زوجته، ويطمئن إلى وفائها، وقد يلحق بها أشد الأذى إذا أخلت بهذا الواجب، لذا فهي تقيم في كوخ خاص، حتى يمضي الزمن المعين للحداد، وبعده تبدأ طقوس التطهر، فتؤتى بدابة أو حمار أو طائر لتتسع به، وهذا يفسر تجنب المجتمع لها حتى تتخلص من شحنة (المانا الضارة) التي علقت بها نتيجة علاقتها بالمتوفى، وفي النهاية ترمي ببعرة وراء ظهرها، إعلاناً بأنها قطعت كل صلة لها بحياتها القديمة، وعادت صالحة لممارسة حياتها الاجتماعية.⁴

¹ يُنظر: عفيفي، المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص50.

² يُنظر: المرجع نفسه، ج1، ص50 - 51.

³ يُنظر: درويش: حجاب المرأة بين الأديان العلمانية، ص210. و: البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها، ط2، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م، ص215.

⁴ يُنظر: البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها، ص214.

وكانت المرأة إذا ناحت قاعدة على زوجها، علم أنها لا تريد أن تتزوج بعده، وتتراوح مراسيم الحزن ما بين خمش الوجه، وحلق الشعر، وبين الانتحار، أو ضرب الوجوه¹، أما الميراث وحق المرأة فيه، فيرى بعض الباحثين أن لها حقاً في الميراث، وهناك من يرى أنها لا ترث، وإذا توفي عنها زوجها تورث مع المتاع، والولد يرث زوجة أبيه، ويتصرف فيها كما يشاء، ويبدو أن مرجع هذا الاختلاف يعود إلى اختلاف القبائل والمناطق العربية.²

خ) الختان

عرف العرب في الجاهلية الختان، ومارسوه مثل باقي الشعوب القديمة، ويعتبر الختن مناسبة لإعلان الفرح في الأسرة، وكان يجري للذكور والإناث على السواء، وقد كان من عادة العرب أن يولموا الولائم، ويدعوا إليها الأهل والأصحاب، هذا في ختان الذكر، أما ختان الفتيات فيجري دون ضجيج أو احتفالات³، وأول امرأة اختنتت هي هاجر أم إسماعيل (عليه السلام).⁴

ثانياً: الحياة السياسية

لم تعرف شبه الجزيرة العربية وحدة سياسية، تشمل كل أجزائها قبل الإسلام، ولعدم وجود السلطة المركزية، فقد ساد العرف أو القانون القبلي معظم نواحي شبه الجزيرة العربية وكان يختلف بين قبيلة وأخرى.⁵

وكان الحكام عند العرب أشخاصاً، اتصفوا بصفات ومميزات أهلتهم لأن يطمئن الناس إلى أحكامهم في حل مشكلاتهم، أما فيما يتعلق بدور المرأة في الحكم، فقد ذكرت المصادر

¹ يُنظر: الطرابلسي: صناجة الطرب في تقدمات العرب، ص71.

² يُنظر: سليم: جوانب من تاريخ حضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة، ص285 - 286، عاقل، نبنة: تاريخ العرب في عصر الرسول، ص303.

³ يُنظر: صباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص97 - 98.

⁴ يُنظر: الجارم، محمد نعمان: أديان العرب في الجاهلية، ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1923م، ص131.

⁵ يُنظر: صبيحة، علي: الواقع التاريخي للقضاء في صدر الإسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1996م، ص15.

العربية أسماء نساء اشتهرن بإصابة الحكم، وفصل الخصومات، وحسن الرأي، منهن، جمعة بنت حابس الإيادية¹.²

و تسلمت المرأة في بعض الفترات الزمنية من العصر الجاهلي، سدة الرئاسة السياسية، وكان لها القيادة الفعلية، وأثبتت حنكة ودراية، وكانت عنصراً أساسياً في العلاقات السياسية بين القبائل، أكان ذلك بشكل مباشر، أم غير مباشر، وسمح لها أن تشارك في الأحلاف التي تعقد بينهم، كذلك كانت تجبر كالرجال تماماً، أي من يطلب حمايتها ويستجير بها تدافع عنه، ومن الأمثلة على ذلك موقف " سبيعة بنت عبد شمس"³ في حرب الفجار التي وقعت بين قبيلة كنانة وقبائل قيس عيلان، وسميت بالفجار لأنها دارت في الأشهر الحرم، وحين أجارت سمية قومها في خبائها، مع أن زوجها " مسعود بن مالك الثقفي" كان في حرب معهم، وذلك لتحقق الدماء، وقد وافقها زوجها على ذلك.⁴

وقد لعبت المرأة دوراً بارزاً في الحياة العسكرية، والتحريض على القتال، وإثارة الهمم، ورافقت الرجال في ميادين الحرب، تضرب بالدف خلفهم، وتحرضهم عندما يلتقي الفريقان، و تدأوي الجرحى، وتسقي المقاتلين، حتى إذا رأت النساء دائرة الحرب أوشكن أن تدور على قبيلتهن، يحسرن البراقع، ويكشفن الشعور؛ ليستثرن حمية الرجال، ويدفعنهم إلى الدفاع عنهن، وحمايتهن من السبي.⁵

¹ شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، ولها مناظرة طويلة مع القلمس الكناني، ينظر، كحالة، ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، ص206 .

² يُنظر: صبحه، الواقع التاريخي للقضاء في صدر الإسلام، ص17.

³ شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، رثت عمها المطلب بن عبد مناف، ينظر، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، ص140 .

⁴ ينظر: سليم: جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، ص258-283. يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص295-297.

⁵ يُنظر: البستاني، كرم: النساء العربيات في الأدب، في الغناء، في الحرب، في الكهانة، (د.ط)، بيروت، دار بيروت وصادر للطباعة والنشر، 1964م، ص136.و: داوود، الأب جرجس: أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981م، ص151.

وكان سبي النساء من غايات القتال عند الشعوب والأمم والقبائل، ولأن حياة العربي قائمة على الصراع، فقد كان الرجل الجاهلي يغار ويخاف على المرأة من السبي خوفاً من الفضيحة والعار.¹ إن اشتراك المرأة في الحرب سواء قادت الجيش مثل القائدة (رقاش) في قبيلة طي، أم حاربت، أم رافقت، المحاربين لحضهم، دليل على عظمة مكانتها، وشجاعتها، واعتزاز قومها بسيادتها، لأنها جديرة بأن تشارك الرجل في الذود عن الحمى، وكسب النصر.²

ثالثاً: الحياة الدينية

اتخذت ديانة العرب القدماء الشكل الذي نجده في ديانات الشعوب الأخرى، وهو المعروف بـ (عبادة الكواكب التي تتألف من ثلوث سماوي هو القمر، والشمس والزهرة)³، وكان لمكانة القمر في هذه الديانة بوصفه الإله الأب، أثرها في تعظيم الجاهليين له، واكتسابه مكانة دينية عالية بينهم، وعن علاقته بالمرأة، فضلاً عن ارتباطه بحياتها الفيزيولوجية، والسيكولوجية، بدورة شهرية موازية لدورة القمر الشهرية، فإن الاعتقاد العام لدى الكثير من الشعوب أن القمر هو الذي ينفخ في أرحام النساء.⁴

أما عبادة الشمس فقد كانت من العبادات القديمة، فهي أول الأجرام السماوية التي لفتت أنظار البشر إليها؛ لتأثيرها المادي على حياة الإنسان، والحيوان والنبات. وقد عرفت الشمس بين عبادها في أطراف الجزيرة العربية، ووسطها باسم الإله (بعل) أي اله الأرض الخصبة، كما عرفت باسم (ذو الشورى) بمعنى الإله المنير، وهما أي (بعل وذو الشورى) من الأصنام المشهورة عند الجاهليين.⁵

¹ يُنظر: السديس، محمد: *سبي النساء في ضوء الشعر القديم*، مجلة العصور، م1، ج1، 1992م، ص69.

² يُنظر: الحوفي: *المرأة في الشعر الجاهلي*، ص435-459.

³ يُنظر: عبد الرحمن، إبراهيم: *التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي*، مجلة فصول، ع3، م1، 1981م، ص135.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص129. يُنظر: عبد الرحمن، نصرت: *الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث*، ط2، عمان، مكتبة الأقصى، 1982م، ص135.

⁵ يُنظر: عبد الرحمن: *التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي*، ص129.

وقد عبد العرب الزهرة، وكانت لدى عبادها في مختلف الديانات الوثنية رمزاً للعشق، والشهوة، والإغواء، وارتبطت عند العرب بالأم الكبرى عشتار، وشخصوها في الصنم المعروف بـ (العزى)، تحمل صفات امرأة حسناء، بيضاء، ومشركة، وأطلقوا عليها كوكب الحسن، ومملكة السماء، وعبدت العزى في سمرات ثلاث، وكان يتغير وجهها الجميل في لحظة الحرب والقتال، فعند انطلاق خالد بن الوليد، إلى بطن نخلة، ليهدمها، ويعضد السمرات الثلاث، خرجت له من الشجرة الأخيرة امرأة حبشية نافشة شعرها.¹

وقدست النخلة باعتبارها رمزاً من رموز الخصوبة، والأنوثة، لذا كانت نساء الجاهلية يضعن حليهن، وأثوابهن على جذوع نخلة نجران، طلباً للذرية من الآلهة (عشتار) التي كانت تلبس القلائد والقروط.²

إن انتشار عبادة الأصنام بين العرب وعبادتهم لها إنما كانت تقرباً إلى الله زُلفى³، أما عن مكانة المرأة الجاهلية الدينية فقد كانت عابدة، تشترك في الطواف حول الكعبة مع الرجال، وكان الطواف بالليل والنهار، وعدة الطواف سبعة أشواط، وكان قسم من الحجاج يطوف عرياناً، وقد علل طواف العري بفقر الحاج، فهو لا يملك ما يستأجر به ثوباً من الحمس، ولذلك يطوف عارياً، أول مرة فقط، فإذا عاد إلى الطواف، لبس ملابسه، وطاف بها كالحمس، وكان يطلق عليهم بـ(الحلة)، بينما يطوف قسم آخر بثيابه، ويطلق عليهم بـ(الحُمس)، وهم المتشددون في دينهم، وكانت قبيلة قريش من الحمس.⁴

¹ يُنظر: عبد الرحمن: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، ص130. ينظر: الديك: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، ص175. يُنظر: مغنية، حسن: ديانة العرب وعلومهم، (د.ط)، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1981م، ص92.

² يُنظر: الحوت، محمود: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط1، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1955م، ص109.

³ يُنظر: العمري، ليلى: الصلاة في العصر الجاهلي (قراءة دلالية في اللغة والنصوص الجاهلية)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ع 4، م 5، 2009م، ص166.

⁴ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص418-419.و: مقداد، جبريل: المعتقدات الدينية عند عرب الجاهلية كما تبنت في أشعارهم، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، ع 5، م 44، 2001م، ص207، و: ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب: الأصنام، تحقيق أحمد زكي، (د.ط)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م، ص45-49

وتخضع النساء لهذه القواعد في الطواف، فإن أعارها أحد الحمس ثوباً طافت به، وإلا طافت عريانة كما يفعل الرجال، ونساء الحمس يمارسن عادات خاصة في أثناء موسم الحج، يتميزن عن بقية الحاجات، فقد عرف عنهن إذا أحرمن أن يأكلن الجبن، ولا السمن، ولا الزبد، ولا يأكلن شيئاً من نبات الحرم، ولا يذهبن إلى عرفة، ولا يفيضون منها، بل يقضون في طرف الحرم عشية عرفة، ومنه يفيضون إلى المزدلفة، وكان الحمس إذا زوجوا امرأة منهم لغريب عنهم، أي كان من (الحلة) اشترطوا عليه أن كل من ولدت منه فهو (أحمس) على معتقدهم.¹

وفي مقابل كون المرأة عابدة، فقد كانت معبودة، فقد شغلت حيزاً كبيراً في الفكر الديني للعصر الجاهلي، وقدسوها، وكانت من كبريات آلهتهم وعبدوا فيها الخير والخصب، بل اعتبروا الأرواح الخيرة هي الملائكة بنات الله، ومعبودهم الأول، ومن الأمثلة على الإلهات الإناث، التي اشتهرت في الجاهلية، "اللات"، وهي صخرة بيضاء منقوشة، عليها بيت بالطائف، وأستار، وسدنة، وهناك أيضاً "منة"، وهي أقدم الأصنام، وهي صخرة يذبحون عندها، وأيضاً "العزى" التي بنى لها الجاهليون بيتاً للعبادة، وكان الحجاج إذا فرغوا من حجهم، وطوافهم بالكعبة، لم يخلوا حتى يأتوها، فيطوفون بها، ويحلون، ويعكفون عندها يوماً كاملاً، ويذبحون الذبائح لها، وهناك إلهات أخر أقل مرتبة "كسواع" الذي كان صنماً على هيئة امرأة.²

رابعاً: الحياة الاقتصادية

الحياة الاقتصادية لأي مجتمع، هي الدعامة الأساسية الكبرى في وجوده، واستمرار بقائه، ويدخل ضمن هذه الحياة الفعاليات الزراعية، والصناعية، والتجارية.³

¹ يُنظر: الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص 418-419

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 423 ابن الكلبي، الأصنام، ص 45-49، و: السيد، عبد اللطيف: جزيرة العرب قبل الإسلام (عصر الجاهلية)، ط1، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2008م، ص 103. و: علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج2، ص 228،

³ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص 39.

وعمل المرأة الجاهلية في الميدان الاقتصادي كان ضخماً، ولا سيما أن الاقتصاد الجاهلي كان إلى حد كبير اقتصاداً منزلياً اكتفائياً، فقد كانت المرأة في معظم المجتمعات الزراعية تعمل هي والرجل يداً واحدة في الريف، فتشارك في الحراثة، وبذر البذور، وسقاية الأرض، وتعشيبها، وتسميدها، وتدخل في نطاق الفعالية الزراعية للمرأة الجاهلية أعمال أخرى عديدة قد تبدو صغيرة، إلا أنها كانت تؤدي دوراً في اقتصاد المجتمع العربي وحياته، مثل النقاط بعض النباتات الطبيعية، كالكمأة التي كانت تنمو بكثرة في الصحراء، كما كانت تبحث عن بعض الأعشاب المستخدمة كأدوية، فإما أن تدخلها ضمن عملها المنزلي لصالح أسرتها، أو تقوم ببيعها لصالحها. وترتبط بالزراعة تربية المواشي، وهي فعالية اقتصادية أساسية في المجتمع الجاهلي البدوي، وقد تملك المرأة بعض الماشية، وتقوم على رعايتها وتهتم بها، لتنتفع من بيع لبنها أو سمنها.¹

وشاركت المرأة الجاهلية في الحياة الصناعية، فمن الصناعات التي كانت تقوم بها دبغ الجلود، وغزل الصوف ونسجه، وهذه الصناعات، كانت من عمل المرأة، أكانت من سيدات القوم، أم من أوسطه أو من فقيراته، لذا عدّوا المرأة التي لا تحسن التصرف بإنتاجها من الغزل حمقاء²، وساهمت المرأة في ميدان صناعة الأسلحة، ومنها الرماح، وقد أتقنت هذه الصناعة، حتى سميت الرماح باسمها، (فالرماح الردينية) وهي أكرم الرماح، وأشرعها نفاذاً تنسب إلى ردينة التي كانت تصنعها في شبه الجزيرة العربية.³

ومن المهن التي اتخذتها النساء النياحة على الموتى، ونفث العقد، وتلك إحدى قواعد السحر، وذلك أن تأتي المرأة بخيط وتقرأ عليه شيئاً من مبهم القول، وبينما هي تقرأ تنفث في الخيط، وتعتقد عقدة منه، ثم تدفنه من الأرض، فلا تزال الجن موكله بأذى المسحور به ما دام الخيط في موطنه⁴، وهناك المراضع، وكانت النساء من البادية يأتين إلى المدن، ملأ الأثداء، وكانوا يختارون المرضع أسمح خلقاً، وأبين بياناً، وكانوا يهتمون اهتماماً كبيراً باختيار

¹ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص40.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص70-71-72.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص116-117.

⁴ يُنظر: عيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص106.

المرضعة، لما للبنها من تأثير كبير في الطفل، فقد كانوا يعتقدون أن (اللبن دساس)، لذا فقد أخضعت المرضعة لفحص دقيق من أسرة الطفل، في نسبها وعشيرتها وسلامتها من الأمراض.¹

وقد روي عن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم أنه عندما اختار حليمة مرضعة حفيده، سألها عن اسمها، وعن قومها، فاستبشروا خيراً لما كان يعرف عن بني سعد من خصال حميدة²، والإرضاع في الجاهلية خاصاً بالولد دون البنت؛ ليكتسب الفصاحة والفكر.³

ومن المهن الخاصة المتعلقة بالطب، القبالة، وختان الفتيات، وتجبير العظام⁴، ويضاف إلى هذه المهن مهن أخرى، تدخل في نطاق تجميل المرأة وهي (الماشطة)، التي تمشط الشعر، والنامصة التي تزيل شعر الوجه، والواشمة.⁵

وشاركت المرأة الجاهلية في التجارة، فقد كان لموقع الجزيرة العربية دور حيوي وبارز في حياة الإنسان، واتصاله مع الأمم والشعوب الأخرى، وقد عرفت المرأة طرق التعامل التجاري، والمقاييس، وأنواع السلع المطروحة في السوق، والنقد المتعامل به آنذاك من الذهب والفضة، ومن الأمثلة على النسوة في هذا المجال، السيدة خديجة أم المؤمنين، المرأة التاجرة ذات الشرف، والمال ومن أكبر تجار قريش، وكانت تستأجر الرجال في مالهم وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم منه وترسل بأموالها إلى الشام، وإلى عكاظ، وغيرها من أسواق العرب⁶، وهناك تاجرة من تجار السمن، وتدعى ثعلبة ذات النحيين، وهي امرأة من بني تميم.⁷

¹ يُنظر: الصباغ: المرأة في التاريخ العربي، ص 92-93.

² يُنظر: المرجع نفسه، ص 92-93.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص 94.

⁴ يُنظر: المرجع نفسه، ص 116-117.

⁵ يُنظر: المرجع نفسه، ص 116 - 117.

⁶ يُنظر: المرجع نفسه، ص 120. ينظر: القواسمي، سحر: التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999م، ص 16.

⁷ يُنظر: القواسمي، التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص 16.

أولع العرب بالغناء، فكان العربي يتغنّى وهو يقطع المسافات الطوال على ظهر راحلة، فالغناء حذاء الركب، وكان يتميز بالبساطة وكان اللحن في الغالب من نتاج اللحظة، ومؤثرات الحياة الصحراوية.¹

ومن الآلات المتداولة في العصر الجاهلي آلات مصنوعة من الشجر، وأخرى إيقاعية كالدفوف، والجلجل، الموتر وهي شبيهة بالعود، وانتشرت الموسيقى في هذا العصر في جميع أوجه الحياة الخاصة والعامة والدينية²، وكانت النساء أليق باحتراف الغناء من الرجال لأنهن في الغالب أندى صوتاً وأرق نغمًا، ولأن لجمالهن وأنوثتهن أثراً في الطرب لهن.³

إن الغناء من حيث هو فن ومرتق لم يكن في شيء من نساء العرب، بل كان صناعة موقوفة على القيان، وقد عرف العرب القيان منذ زمن بعيد، وأول من شدا بالغناء هما قينتان لمعاوية بن بكر أحد العماليق، وتدعيان الجرادتين، وهما اللتان اجتلبا من أطراف بلاد الفرس والروم، وكانتا تغنيان في الأسواق والمواسم الجاهلية.⁴

أما الغناء الذي لم يتخذ فناً ومرتقاً، فقد كان معروفاً عند حرائر العرب قبل الجرادتين، فقد كانت نساء العرب يغنين الصلوات لأصنامهم، وكان العرب يخصون بالنساء المقام الأفضل في الاحتفالات الدينية⁵، وشاركت النساء في غناء الحرب، وكانت مشاركة وافرة، والغناء الحربي في الجاهلية ضربان: أولهما ارتجاز بالشعر، وثانيهما أناشيد، وأغانٍ حماسية، يؤديها المحاربون جماعة، أو تغنيها النسوة من ورائهم؛ لتثير روح الشجاعة والحماسة في المقاتلين.⁶

¹ يُنظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص555.

² يُنظر: الصالة، نور الدين، نبذة عامة عن الموسيقى العربية: مجلة تاريخ العرب والعالم، ع207، 2004م، ص54.

³ يُنظر: الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص561.

⁴ يُنظر: عيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص97-98.

⁵ يُنظر: البستاني: النساء العربيات (في الأدب، في الغناء، في الحرب، في الكهانة)، ص65.

⁶ يُنظر: الأسد، ناصر الدين: القيان والغناء في العصر الجاهلي، ط2، مصر، دار المعارف، 1968م، ص149-152.

وظهر العديد من الشاعرات الجاهليات، اللاتي قدمن صورة صادقة عن الذات الإنسانية، ومن أغراضهن الرثاء، والفخر بالقبيلة، والأب، والزوج، وأشهرهن الخنساء¹، ودخنتوس بن لقيط بن زرارة²، وهند بنت عتبة³، وجليلة بنت مرة⁴، وغيرهن الكثير، وكانت بعض الشاعرات يرتدن سوق عكاظ، ويدخلن في المباريات الشعرية التي تجري فيه.

¹ تماضر بنت الشريد السلمية شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، وهي صحابية جلييلة، قدمت على رسول الله مع قومها من بني سليم. وأسلمت معهم؛ كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، ص360.

² شاعرة جاهلية مشهورة. سميت دخنتوس باسم بنت كسرى، أبو لقيط بن زرارة الشاعر الفارس، وسيد بني تميم. ومعنى اسمها بالفارسية البنت الهنيء. ينظر، عبد الرحمن، عفيف، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، (د.ط)، الرياض، دار العلوم، 1983م، ص115.

³ الرسالة، ص38.

⁴ شاعرة شيبانية فصيحة في العصر الجاهلي كانت زوجة كليب بن وائل، الذي قتله أخوها جساس بن مرة، التونجي، محمد، معجم أعلام النساء، ط1، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2001م، ص65.

الفصل الثالث

صور المرأة في النثر الجاهلي

تقديم: النثر الجاهلي

أولاً: صورة المرأة في الأسرة

ثانياً: صورة المرأة وقيم المجتمع

الفصل الثالث

صورة المرأة في النثر الجاهلي

النثر الجاهلي

سار كلام العرب على ضربين: إما أن يكون منظوماً، وإما أن يكون منثوراً، والمنظوم هو الشعر، والنثر نوعان: نثر عادي يدور في كلام الناس أثناء المعاملة، ونثر فني يخضع لنظرية الفن، أو يغلب عليه الأسلوب الفني من حسن الصياغة، ومراعاة قواعد اللغة.¹

وتؤيد الطبيعة والعقل أن الجاهليين كان لهم نثر أدبي، فليس هناك مانع يجعل ذلك مستحيلاً، ما دام لهم شعر، فالشعر كان له دور في العصر الجاهلي، وفي حياة العرب على الإجمال، فنثرهم كان كثيراً يفوق ما كان لهم من شعر، لكن سنة الكون دائماً تجعل الشعر أوفر حظاً من العناية والاهتمام، ويروى على مرّ الأجيال أكثر من النثر، ولذلك نجد المحفوظ من النثر في كل العصور لجميع الأمم أقل بكثير من الشعر.²

ومن أنواع النثر الجاهلي الخطابة، والأمثال، والحكم، والوصايا، والمفاخرات، والمنافرات، والمناظرات، ونثر الكهان، والرسائل، والوصف، والأقوال، وقد ساعدت هذه المظاهر المختلفة في تنمية الثقافة الشفوية، والتعبير عن تصورات الجاهليين للكون والحياة.³

أما الخطابة فهي: فن قديم، نشأ مع الإنسان، وصعد معه في مدارج الرقي، وكانت أقدم الفنون الأدبية، ولا تكاد أمة عرفها التاريخ تخلو منها، وفيها يُخاطب الجمهور، وتتجه إلى الإقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معاً، فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى

¹ يُنظر: مناع، هاشم، النثر في العصر الجاهلي، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1993م ص22-37.

² يُنظر: الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ص62.

³ يُنظر: خفاجي، محمد عبد المنعم، الشعر الجاهلي، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1986م، ص136. يُنظر: البستاني، بطرس، موسوعة الحضارة العربية، ج2، (د.ط)، (د.م)، دار كلمات للنشر، 1995م، ص237. يُنظر: عشا، علي مصطفى، هموم الإنسان في شعر ما قبل الإسلام، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1998م، ص34.

الإقناع أساس هذا الفن¹، وازدهرت الخطابة وشاعت في العصر الجاهلي، بإلزام من واقع ذلك العصر الفروسي، فمن أغراضها التحريض على القتال، وإصلاح ذات البين، والتباهي بالأحساب والأنساب.²

وكان لهم في الخطابة عادات، فكانوا يخطبون قياماً إلا في خطب الزواج فإنهم يجلسون، وكانوا يحبون في الخطيب أن يكون جهير الصوت، ويذمون ضئيل الصوت، وأن يكون مؤثراً شديد التأثير في نفوس سامعيه، حتى يسحر بكلامه³، ومن العادات أيضاً أن يؤثر الخطيب بشخصه، ويظهر ملامح وجهه، وحركات جوارحه، من لبس العمامة، والإشارة بالعصا أو السيف، وشبهوا خطبهم في جودة نسجها وجمالها بـ(الحل اليمينية الموشاة).⁴

واشتهر من نساء الجاهلية، جمهور نبغ في فن الخطابة، وامتاز بقوة البيان، وفصاحة اللسان، مثل هند بنت الخس⁵، وطريفة الخير⁶، و سلمى الهمذانية⁷، وغيرهن، ومن الخطباء المشهورين من أهل الجاهلية: كعب بن لؤي، وهو من أقدم الخطباء، وهو الجد السابع للنبي محمد عليه السلام، وكان يخطب العرب عامة.⁸

وهناك أكثم بن صيفي، خطيب قبيلة تميم، وحكيم العرب وقاضيهما، وكان يؤخذ برأيه في الحروب، ويستشار عند الملمات، وقد عرف الكتابة⁹، وقد ذاع في العصر الجاهلي خطيب

¹ يُنظر: درويش، محمد طاهر، الخطابة في صدر الإسلام، ج1، ط1، مصر، دار المعارف، (د.ت)، ص3-82.
² يُنظر: حاوي، إيليا، فن الخطابة وتطوره في الأدب العربي، (د.ط)، بيروت، منشورات دار الشرق الجديد، 1961م، ص35.

³ يُنظر: درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ج1، ص84-85. يُنظر: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص771. يُنظر، بليغ، عبد الحكيم، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، ص26.

⁴ يُنظر: درويش، الخطابة في صدر الإسلام، ص84-85.

⁵ شاعرة خطيبة، ذات فصاحة وبلاغة وحكمة، ينظر: كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج5، 231.

⁶ كاهنة عربية جاهلية من اليمن، عاشت قبل سيل العرم، التونجي، معجم أعلام النساء، ص119.

⁷ بنت سيد من أسياذ همذان، وعن رأيها تصدر عشيرتها، الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص378.

⁸ يُنظر: الإسكندري، أحمد، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط7، القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1923م، ص32.

⁹ يُنظر السامرائي، إبراهيم، الأمثال العربية، مجلة التراث الشعبي، ع1، 1975م، ص11و: شلق، علي، النثر العربي في نماذج وتطوره لعصري النهضة والحديث، ط2، بيروت، لبنان، دار القلم، 1974م، ص23و يُنظر: خفاجي، الشعر الجاهلي، ص158.

العرب وشاعرها، وحكيمها وأول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، وهو قس بن ساعدة الإيادي، من قبيلة إياد.¹

ومن مظاهر النثر الجاهلي الأمثال، وهي عبارات تُضرب في حوادث مشابهة للحوادث الأصلية التي جاءت فيها، وتنتقل من جيل إلى جيل²، وتعد الأمثال من أصدق النماذج النثرية، التي خلفها عرب الجاهلية في التعبير عن الحياة وهذه الأمثال لها أهمية تاريخية، واجتماعية، وأخلاقية، ساعدت على معرفة طبيعة الحياة في الجاهلية، وأساليب تفكير العرب³، والأمثال إما حقيقة لها أصل، وقائلها معروف غالباً، أو فرضية ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان طائر، أو حيوان، أو نبات، أو جماد⁴، وقد ارتبطت الأمثال بالقصص ارتباطاً وثيقاً، بل مهدت لنشأة القصص الديني والاجتماعي في العصر الجاهلي.⁵

أما الحكمة فهي: أحد أجناس القول البليغ، وهي لا تصدر إلا عن طائفة خاصة من الناس، هم الذين أحكمتهم التجارب، وأوتوا نصيباً من الفصاحة والذكاء⁶، ومن الفنون النثرية الوصية: وهي كلام موجز بليغ، ثمرة خبرة طويلة بشؤون الحياة، أو تمازج علوم، وثقافات واسعة، ومتنوعة.⁷

¹ يُنظر: الخليل، سحر، مختارات من النثر العربي، ط2، عمان، دار البداية، 2011م، ص17و: خفاجي، الشعر الجاهلي، ص157، الزركلي، الأعلام، ج5، ص196.

² يُنظر: ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط5، القاهرة، دار المعارف، 1965 م، ص20و: عبيد، حاتم، المثل قضاياه ومعناه، مجلة فصول، ع 66، 2005م، ص34.

³ يُنظر: الحوسني، عبد الحي، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ط1، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2004م، ص25و: الضبي، المفضل محمد بن يعلي بن عامر، أمثال العرب، تحقيق وشرحه وفهرسه الدكتور قصي الحسين، ط1، بيروت، لبنان، منشورات دار ومكتبة الهلال، 2003م، ص6و: أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط1، (د.م)، مكتبة النهضة المصرية، 1965م، ص64و: سليمان، سليمان محمد، دراسات أدبية في الخطب والأمثال الجاهلية، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004م، ص30.

⁴ يُنظر: خفاجي، الشعر الجاهلي، ص146.

⁵ يُنظر: محمد، إبراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية، ط2، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، 1980م، ص58.

⁶ يُنظر: القيسي، فايز عبد النبي، أدب الحكمة في (دُررَ الكَلَمِ ونُمرِّ الحكَم) للسيوطي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، ع 8، 2005م، ص12.

⁷ يُنظر: الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص44.

والنفس البشرية تميل إلى سماع الوصايا، والتأثر بها، والوصايا في بعض صورها لون من الخطب، ولاحقة بها، لما يجمع بينهما من مواجهة المخاطبين بالقول، والقصد فيها إلى الإقناع، إلا أن الخطب تكون في جمع عام، أما الوصايا فتكون عادة لناس مخصوصين، ومن موضوعاتها الزواج، والتوجيه لخلق معين.¹

أما المفاخرات، والمنافرات، فهي التي كانت تحدث بين اثنين أو أكثر، وفيها يتباهى كل من المنافرين بالأحساب والأنساب²، وظهرت المناظرات في الجاهلية، تعرض حواراً بين شخصين أو أكثر، كل منهما يخالف الآخر في الموضوع المطروح للمناقشة، ويتبنى فرضية تخالف فرضية الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين، ودحض الآخر.³

ويدور الحوار في المناظرات بين أشخاص يختلف عددهم كما تختلف صفاتهم، منهم أمراء أو خلفاء أو موظفون كبار في الدولة، أو علماء مثقفون، أو من العامة، وبحسب الجمهور يختلف المكان الذي تدور فيه المناظرة، فمن دار الخلافة ومجالس الوزراء إلى مجالس العلماء في المساجد، كما تختلف الموضوعات المطروحة، وتشمل الموضوعات الاجتماعية، والأدبية، والسياسية، والثقافية.⁴

أما نثر الكهان، فقد كانت الكهانة موجودة عند العرب في الجاهلية، ولها قداسة دينية، ونفوذ كبير، والعرب يلجؤون إلى الكهان في بعض المواقف، ويستشيرونهم في إبرام مهمات الأمور، كإعلان الحرب، أو كشف عن الجريمة، أو البحث عن شيء مفقود، وقد اشترك الكهان أنفسهم في الغزوات يشجعون أقوامهم على القتال.⁵

¹ يُنظر: الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص44.

² يُنظر: الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ج1، ص67.

³ يُنظر: الحراحشة، أمينة عبد المولى، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2003م، ص96.

⁴ يُنظر: الحراحشة، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، ص96.

⁵ يُنظر: الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ج1، ص74. و: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص763. و: الفيومي، محمد إبراهيم، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام، (د.ط)، القاهرة، عالم الكتب، 1979م، ص247.

ويكون التكهّن في مكان هادئ، تكتنفه ظلمة أو عتمة، لأن للهدوء والظلام أثراً عظيماً في النفوس، ويسبقه حرق بخور يستمر إلى ما بعد انتهاء التنبؤ، لأن البخور من الروائح الطيبة، التي تؤثر في الأرواح فتجلبها إلى المكان بسرعة، وتؤثر في الأعصاب، وهو بذلك مادة صالحة في الإيحاء لمن يقصد استشارة الكهان.¹

والكاهن هو الذي يتنبأ بوساطة تابع، ولا يستطيع غير الكاهن رؤية هذا التابع، والكهانة كلاماً يلقيه الكاهن نفسه، أو تابعه جواباً عن أسئلة الكاهن²، والكاهن في أثناء تكهّنه في غيبوبة أو شبه غيبوبة، ذلك أنه متصل بعالم مجهّد صعب، لا يتحمّله كل إنسان، ولاتصال الروح فيه، واتصال الروح بجسم الكاهن شيء عسير، يتسبب العرق منه، خاصة إذا كان المتكلم الكاهن نفسه.³

ومعظم نثر الكهان خطب مسجوعة، تعبر عن العواطف الدينية والنظرات الأخلاقية⁴، ومن أشهر الكهان وأعرقهم شق، وسطيح، وشق في زعمهم إنسان بيد واحدة، وعين واحدة، وهو مصعب بن شكران، وجعلوه من المتشيطنة، صورته صورة نصف آدمي.⁵ أما سطيح فهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن عدي الذئب.⁶

أما الرسائل فهي حديث مكتوب متبادل بين شخصين وأكثر، وقد يكون مشافهة برسول، وهي وسيلة لعرض الأفكار، أو توجيهات بين الناس⁷، والوصف هو نهج في التعبير، مبعثه طبيعة النفس التي تعي ذاتها، ومحيطها الطبيعي، والوصف في الجاهلية كان حسياً يرتبط

¹ يُنظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص761.

² يُنظر: المرجع نفسه، ج6، ص761.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ج6، ص761.

⁴ يُنظر: المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط6، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م، ص20.

⁵ يُنظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، ص765.

⁶ يُنظر: المرجع نفسه، ص766. ينظر: الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ص14.

⁷ يُنظر: الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص38.

بالحواس، ومعنويًا يرتبط بالأخلاق والنواحي النفسية¹، وآخر الفنون النثرية: الأقوال وهي حديث الناس في مجالسهم، ومخاطباتهم، وحوادثهم.²

اشتهر العرب في جاهليتهم بمكارم الأخلاق، ومحامد الأفعال، وبالفصاحة والذكاء، والأدب، وليست المرأة الجاهلية أقل شأنًا ومنزلة من الرجل، فقد تمتعت بمثل ما تمتع به الرجل، وقدمت عطاء في ميداني الشعر، والنثر على السواء، فأجادت معنى ودقة وصورة.³

ويتبين مما نسب للمرأة في الجاهلية في ميدان النثر، أكان خطبًا، أم أمثالًا، و حكمًا، و غيرها من الفنون النثرية، أنها كانت حرة الرأي، جريئة الفكر، صريحة القول⁴، وبعد البحث، في صورة المرأة بعامة، سواء من خلال ما قالته هي، أو من خلال ما قاله الرجل عنها في النثر الجاهلي، أمكن تقسيم هذه الصورة إلى مبحثين:

أولاً: صورة المرأة في الأسرة

شاركت المرأة في الجاهلية الرجل في تحمل أعباء البيت، وتربية الأبناء، وقد وردت في الأسرة بصورٍ مختلفة منها:

• الأم:

الأم هي مصدر العطف والحنان، ومنبت فتيان العرب، ومعقد فخرهم، ومثار حميتهم، والناظر في المجتمع القبلي وتقاليده، يجد مكانة رفيعة للأم، تقترب من مكانة الأب،⁵ والمجتمع

¹ يُنظر: الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص48

² المرجع نفسه، ج1، ص22.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ج1، ص79و: معبدي، محمد بدر، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، ج1، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبتها، (د.ت)، ص10.

⁴ يُنظر: الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص371.

⁵ يُنظر: عفيفي، المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج1، ص76-77و: مبروك، ركاد خليل، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011م، ص12.

العربي الجاهلي مرَّ كغيره من المجتمعات ب(دور الأمومة)، حيث كانت المرأة وعشيرتها، تؤدّيان الدور الأساس فيه، وكان الولد ينتسب إلى أمه وإلى عشيرتها.¹

وظل عدد من الرجال ينتسبون إلى أمهاتهم، ويلتحقون بقبائلهن، ومنهم معاذ بن عفراء²، والمنذر بن ماء السماء³، وهناك الكثير من القبائل العربية المؤنثة كجيلة⁴، وكخندف⁵، وغيرها من القبائل، والعرب كانوا يعتزون بأمهاتهم، أو يعيرون، وبأسمهائهن يقسمون، ومن أكبر شتائمهم قولهم: (لأُم لك).⁶

كان للأم حضور في فنون النثر الجاهلي، تمثل في الوصايا، والأمثال، والحكم والأقوال، التي تحدثت عن مواضيع مختلفة، وتعالج القضايا الاجتماعية جميعها، ولكن لم يكن لها حضور في الخطب، والمنافرات.

وتقدّم الأم الوصايا المليئة بالحب، والحنان، لابنتها لحياتها المستقبلية، وفيها عسارة تجربتها، و تزخر بالموضوعات النافعة في كل العصور، ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في وصية أمامة بنت الحارث⁷، عندما حملت ابنتها فقالت لها: "أي بنية: إن الوصية لو تُركت لفضل أدب، تُركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومَعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج

¹ يُنظر: الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص 220.

² معاذ بن الحارث بن رفاعة النجاري، الأنصاري، عرف واشتهر بابن عفراء، وهي أمه يُنسب إليها. واسمها عفراء بنت عبيد بن ثعلبة، صالح، فؤاد، معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم، (د.ط)، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، 1996م، ص227.

³ المنذر بن ماء السماء، وأمه ماء السماء، وهي مارية ابنة عوف، ويلقب ب ذي القرنين، وسبب تلقيبه بذلك إنه كان له ضفيريّتان من شعر، فعرف بهما لذلك، يُنظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج3، ص 217.

⁴ هي ابنة مدركة بن الياس، ومن بطونها العظيمة عدوان، وإليها ينسب ذو الأصبع العدواني خطيب العرب، وعامر بن الظرب حكيم العرب؛ يُنظر: ابن الكلبي: المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ط1، ، بيروت، مكتبة النهضة العربية، (د.ت)، ص417.

⁵ ليلي بنت خلدون بن عمران، زوج الياس بن مضر بن نزار، وعنها تفرع هذيل، كناية، أسد. يُنظر: المرجع نفسه، ص471.

⁶ يُنظر:، الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص221.

⁷ هي إحدى النساء ذوات الكمال في الرأي والعقل، والشرف في قومها، وهي زوجة عوف بن معلم الشيباني. التونجي، ، معجم أعلام النساء، ص39.

لِغَنَى أَبَوَيْهَا، وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خُلُقٌ، ولهنّ خُلُقُ الرجال.¹

وتستكمل إمامة وصاياها، وتجعل هذه الوصايا في عشرة بنود، تمثل في مجملها وحي هذه الأم، ومما جاء فيها قولها: "يا بنية: احلمي عني عشر خصال تكن لك ذُخْرًا وذكراً، الصّحة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشمّ منك إلا أطيّب ريح، والكحل أحسن من الحسن، والماء أطيّب الطيّب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيتته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمة وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير".²

وتُنتهي أمانة وصيتها بتلخيص يتضمن أموراً مهمة، حيث تقول: "وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، ... واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك".³

وقد ظهرت صورة الأم في هذه الوصية، وعنايتها بابنتها، وحرصها على سعادتها الزوجية، وحثها على طاعة زوجها، والقيام بواجبات بيتها؛ لتكون مثلاً للزوجة الصالحة، وأمانة في كل وصية من وصاياها، تقدم تعليلاً منطقياً لابنتها، فتجربة ابنتها قليلة، وخبرتها ليست عميقة في الحياة، فالأم لها نظرتها الشاملة التي تحيط بالجوانب المتعددة.

¹ يُنظر: الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبدالمجيد الترخيني، ج6، بيروت، لبنان، دارالكتب العربية، 1983م، ص83، صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، (د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، 1933م، ص145.

² المصدر نفسه، ج1، ص 145

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص146.

وهناك وصية أخرى تنسب إلى أعرابية، تعالج الغرض نفسه، وتوجه خطابها إلى ابنتها ليلة زفافها قائلة: "أقلعي زُجَّ رحمة، فإن أقرَ فاقلعي سنانه، فإن أقرَ فاكسري العظام بسيفه، فإن أقرَ فاقطعي اللحم على ترسه، فإن أقرَ فضعي الإكاف¹ على ظهره، فإنما هو حمار".²

وهذه الوصية تحمل معاني ودلالات، فهي لا ترضى أن يكون الرجل ضعيفاً، مستسلماً أمام جمال المرأة، ولا ترضى لزواج ابنتها أن يكون على هذه الحال الواهية، فأهم ما يميز الرجل عن المرأة رجولته، وأعزما يملك في العصر الجاهلي آلة الحرب، وعدتها من السيف، والرمح، والفرس، وغير ذلك، فإذا هانت عليه عدة الحرب، التي فيها قوام حياته، هان عليه أي شيء آخر³، وهذه الوصية اختبار من البنت لزوجها في عزته وكرامته؛ كي لا تكون الكلمة والشأن لها.⁴

ومن الوصايا الأخرى وصية أم لابنتها عند إهدائها لزوجها: "كُونِي له فراشاً يكن لك معاشاً، وكُونِي له وِطاءً يكن لك غِطاءً، وإياكِ والاكتئاب إذا كان فرحاً، والفرح إذا كان كئيباً، ولا يَطْلَعَنَّ مِنْكَ على قبيح، ولا يَشْمَنَّ مِنْكَ إلا الطيبَ ريحاً... وَعَلَيْكِ بِالذَّهْنِ وَالْكُحْلِ، فهو أطيبُ الطيبِ"⁵، وقد أوصت أعرابية ابنتها ليلة زفافها قائلة لها: "إياكِ والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق"⁶، فالأعرابية تحذر ابنتها من الغيرة، لأن الغيرة توقع في مشكلات زوجية، تنغص عيشتها.

لقد دأبت الأم توصي ابنتها في كل الأحوال، والأوقات، ففي رواية أن النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن النضير⁷، بعث إلى نسوة من العرب، وهن فاطمة بنت

¹ الإكاف شبه الرحال، برذعة الحمار، الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، (د.ط)، بنغازي، دارليبيا، (د.ت)، مادة أَكَفَ.

² يُنْظَرُ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص77؛ الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ط1، (د.م)، المكتبة الحيدرية، 1996م، ص212.

³ يُنْظَرُ: الحراشة، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، ص114-115.

⁴ يُنْظَرُ، الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص58.

⁵ الآبي، أبو سعيد، منصور بن الحسين، نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنة، القاهرة، ج6، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص398.

⁶ الوشاء، أبو الطيب، محمد بن أحمد بن إسحاق، الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، ط1، (د.م)، دار الغرب الإسلامي، 1991م، ص224-225.

⁷ لم أعثر على ترجمة له.

الخرشب¹، وقيلة الأسدية²، وتماضر بنت الشريد السلمية، والرواع النمرية³ ليصفن بناتهن، فلما رأى ما كن عليه من فطنة تزوجهن جميعاً، ولما أهدين إليه، دخل على الأنمارية، فقال: "ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: عطري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك"⁴، ثم دخل على السلمية، فقال: "ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تجلسي بالفناء، ولا تكتثري من المرء، واعلمي أن أطيّب الطيب الماء"⁵، ثم دخل على النمرية، فقال: "ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتملّيه، ولا تعاصيه فتشكّعه"⁶، واصدّقيه الصغار، واجعلي آخر طيبك الماء"⁷، ثم دخل على الأسدية، فقال: "ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: أدني سترك، وأكرمي زوجك واجتتبي الإباء، واستنظفي بالماء"⁸.

وأوصت امرأة أخرى ابنتها، قائلة: "لا تهدي إلى حماتك الكتف"⁹ وفي وصيتها نهى عن عدم طاعة ابنتها لحمااتها، والقيام بالواجبات تجاهها ويظهر من وصايا الأم لابنتها، أنها تركز على الألفة بين الزوجين، وسر السعادة بينهما؛ ليعيشا حياة سعيدة، فالمنفعة من هذه الوصايا لا تقتصر على بنات العصر الجاهلي، وإنما تشمل كل فتاة مقبلة على الزواج، في الأزمنة كلها.

وكما الأم حريصة على ابنتها تقدم لها الوصايا، فهي حريصة على ابنها تقدم له خبرتها؛ لينتفع بها في مستقبله، فقد أوصت أم ابنها بالوفاء والسخاء، وعدم النميّة، فهي تبث له في وصيتها الخلق الحسن، وتوجهه إلى المنفعة بقولها: "يا بُني، اعلم أنه من اعتدّ الوفاء والسخاء

¹ من ربات الفصاحة والبلاغة، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج4، ص48.

² بنت الحساس. وهي أم خالد بن صخر بن الشريد، ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، تحقيق محمد طاهر الزين، (د.ط)، الكويت، مكتبة السندس، 1993م، ص130.

³ لم أعثر على ترجمة لها.

⁴ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 201.

⁵ المصدر نفسه، ص 201.

⁶ شدة الضجر، ابن منظور، لسان العرب، مادة شَكَّ.

⁷ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 201.

⁸ المصدر نفسه، ص201.

⁹ الميداني، أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، ج2، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، 1995م، ص 244.

فقد استجادَ الحِلَّةَ بِرَبَطَتِها وسِرِّبَها، وإِيَّاكَ والنَّمائمَ، فإنَّها تُتَبِّتُ السَّخائمَ¹، وتُفَرِّقُ بَيْنَ المُحِبِّينَ، وتَحَسِّي أهلها الأمرين².

وتحت الأم ابنها وتوصيه على إنفاق المال، وعدم اكتنازه، فقد أوصت امرأة كلبية ابنها على ذلك بقولها: "يا بَنِّي، إذا أردتَ المالَ مقبلاً فأَنفِقْ، فإنَّه يَحتمِلُ النِّفْقَةَ، وإذا رأيتَهُ مُدبراً فأَنفِقْ، فإنَّ ذهابَهُ فِيمَا تُريدُ، خيرٌ مِنْ ذهابِهِ فِيمَا لا تُريدُ".³

وقد أوصت أعرابية ابنها عند السفر، فالإنسان بحاجة إلى ما يسترشد به في أرض غير أرضه، ومما جاء في قولها: "يا بني، إن سؤالك الناس في أيديهم من أشد الافتقار إليهم، ومن افتقرت إليه هُنتَ عليه، ولا تَزَلْ تَحفظ وتُكرم، حتى تَسأل وترغب، فإذا ألحت عليك الحاجة، ولزمتك سوء الحال، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل، والمسؤول فإنه يعطي السائل".⁴

وتبقي الأم الجاهلية قيمة اجتماعية كبرى، تتحرك خدمة لفلذات أكبادها، وتقدم لهم الحكمة إذا ما أحست بضعفهم، وضيقهم، فقد ورد في النثر الجاهلي، في إحدى فنونه عن حكمة الأم، وكيف استطاعت أن تدل ابنها على الطريق الصحيح، فقد جاء في قصة الشاعر "بشر بن أبي خازم" ⁵ مع "أوس بن حارثة بن لام الطائي"⁶، وأمه "سعدى بنت حصن"، حيث أُعطي بشر مالا من قوم معاد لأوس، حتى يقوم بهجائه ففعل، فلما وقع بشر في الأسر عند أوس، أوقد ناراً ليحرقه، فبلغ ذلك أمه فقالت له: "لقد مات أبوك فرجوتك لقومك عامّة، فأصبحت والله لا أرجوك لنفسك خاصّة، والله لكأنك أخذت به رَهْدَنًا"⁷، أما تعلم ما منزلته في قومه، أو ما تعلم أنه

¹ الحقد والضغينة الموجودة في النفس، ابن منظور، لسان العرب، مادة سَخَمَ.

² الزمخشري، الإمام محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج4، تحقيق د. سليم النعيمي، (د.ط)، بغداد، مطبعة العاني، 1976 م، ص368.

³ الأبي، نثر الدر، ج6، ص400.

⁴ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص85.

⁵ شاعر جاهلي فحل من الشجعان، من بني أسد بن خزيمه. ينظر، الزركلي، الأعلام، ج2، ص54.

⁶ ابن عمرو بن طريف بن ثمامة بن مالك من قبيلة طي ء، ينظر: الأندلسي، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، (د.م)، دار المعارف، 1982م، ص399.

⁷ العصفور الصغير، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَهْدَنَ.

هجاك، في بني بدر؟ أزعمت أنك تحرق رجلاً هجاك، إذاً فمن يمحو ما قال فيك؟ وأيم الله لو فعلت ما استقلتَها أنت ولا قومك أبداً. فقال لها أوس: فما أصنع به؟ قالت أرى أن ترد عليه ماله، وتعفو عنه، وتحبوه، وتكرمهم، وأفعل أنا مثل ذلك، فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيره، ففعل أوس ما قالت أمه، فملاً بشر الآفاق في مدحه، وأكثر من مديحه " ¹، ويظهر في هذا النص علاقة الأم بابنها، وحرصها على أن تقدم له النصيحة، والحكمة؛ لتحظى بطاعته، وعدم عصيانه لها بما تقول .

وتفضل بعض الأمهات تحلي أبنائها بصفات حسنة، فقد سئلت ماوية بنت النعمان ²، عن أحب بنيتها إليها، فردت بقولها: " الذي لا يردُّ بسط يده بخُلٍّ، ولا يلوي لسانه عَجْزٌ، ولا يُغَيِّرُ طبيعته سَفَهٌ " وهو أحد ولدك. ³

وتخاف الأم على ابنها، وتأسى وتجزع إذا فقدت أحد أبنائها، فقد قالت أم صخر بن الشريد، في ابنها الذي خرج في غزوة، وأصيب بجرح واسع، حين سئلت عن صحته: " أصبح بحمدِ الله صالحاً، ولا يزالُ بحمدِ الله بخيرٍ ما رأينا سوادهُ بيننا " ⁴، ونُعي إلى أعرابية ابن لها، فقالت: " لقد نَعَيْتُمُوهُ كريمَ الجدِّينِ ، ضَحُوكاً إذا أقبلَ ، كسُوباً إذا أدبرَ ، يأكلُ ما وجدَ ، ولا يسألُ عم فقد " ⁵، وقالت أم تأبط شراً ⁶، تُأبِن ولدها بعد موته: " والله ما ولدته يَتّاً، ولا سَقِيته غيلاً، ولا

¹ الأسدي، بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزه حسين، ط2، بيروت، لبنان، دار الشروق العربي، 1995م، ص28-29، و: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص18، و: الصباغ، المرأة في التاريخ العربي، ص224.

² زوجة لؤي بن غالب بن النضر من قريش من عدنان، جد جاهلي كنيته أبو كعب، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج5، ص245.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص204.

⁴ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج4، ص298، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص119.

⁵ القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن حمد بن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، ج1، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982م، ص97.

⁶ أم ثابت بن جابر بن سفيان. أبو زهير الفهني، من مضر، شاعر، عداء، شجاع، كان يغزو على رجليه فلا تجاريه الخيل، قتلته هذيل، الزركلي، الأعلام، ج2، ص97.

أَبَتْهُ عَلَى مَأْقَةٍ¹، وتعني بقولها أنها لم تلده رجلاه قبل رأسه، ولم ترضعه لبناً فاسداً، فهي تمتنع عن رضاعته وهي حامل، ولم ينم مُغضباً مغتاضاً.²

وبلغت امرأة حزناً على فقدانها لابنين لها، فقيل لها: كيف صبرت؟ فقالت: "ما حزنٌ كحزني... لو وجدتُ في الحُزنِ دَركاً ما اختَرْتُ عليه".³ فهذه الأم مفجوعة بمصيباتها، حتى إنها ظنت أنها أصابت منتهاه، فلا شيء بعده.⁴

وقيل لأعرابية مات ابنها: "ما أحسن عزاءك؟ قالت: "إن فُقدانيه أَمَنِّي من المصائبِ بعده"⁵، أي أن مصيبتها بوفاة ولدها هونت عليها المصائب من بعده، ومات لامرأة بنون، فَكَلَّمَتْ، فتحدثت ساعة، ثم ضحكت، فقالت لها امرأة أتضحكين؟، فردت عليها: "لا، وأبيك ولكن الشر لم يجد لي مزيداً"⁶، ويتضح من الأقوال السابقة، أن عاطفة الأمومة تلتهب لفقدان ولدها، أو تعرض أحدهم لمكروه، وتصاب بحالة من الحزن واليأس، تدفعها إلى النعي والرتاء.

وكشفت الأمثال عن هذه العاطفة الحزينة، فالأمهات يتشاركن الفقد، ويشعرن ببعضهن، فقد قالوا: "التكلى تحبُّ التكلَّى".⁷

وفي مقابل هذه العاطفة الصادقة من الأم، نجد بعض الأبناء يظلمونها، ويسئون الأدب إليها، فقد جاء في قول امرأة تخاصمت مع ولدها، وَحَاجَجَتْهُ: "أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناً؟ أما كان ثديي لك سقاء؟"⁸، فهي تقدّم له الحجج المنطقية، وكيف كبر وترعرع بين أحضانها، فقولها ممزوج بالعتاب له على ما يفعله بها.

¹ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج6، ص 118.

² يُنظر: المصدر نفسه، ج6، ص 118.

³ الأصفهاني. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج4، ص 510.

⁴ يُنظر، المصدر نفسه، ج4، ص 510.

⁵ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص 254، الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج4، ص 510.

⁶ المبرد، أبي العباس محمد بن يزيد، التعازي والمرثي، تحقيق محمد الديباجي، (د.ط)، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1976م، ص 237.

⁷ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 153.

⁸ الآبي، نثر الدر، ج4، ص 54.

وبر الوالدين، من القيم الاجتماعية والخلقية في المجتمع الجاهلي، وكانوا يخصون الأم بعناية كبيرة، لذلك فقد استهجنوا عقها، وقهرها، وجاء ذلك في أمثالهم، حيث قالوا: "كَيْفَ يَعُقُ وَالِدًا مَنْ قَدْ وَلَدَا"¹، وذكرت أمثالهم أيضاً، عن أم لما كثر أولادها عقوها فشعرت بالندم، بقولها: "عَلَى فَاضٍ مِنْ نَتَاقِي² اللَّابَةِ³ 4. وعلى الرغم من عق الأولاد لأهمهم، تظل عاطفة الحب والأمومة تحنو عليهم، ويظل يُطمع في إحسانها، قيل لأحدهم: هَلْ لَكَ فِي أُمِّكَ مَهْزُوءَةٌ؟ قال: "إِنَّ مَعَهَا إِحْلَابَةً"⁵ 6.

وجاء في الأمثال عن امرأة تبكي ابنها، بالرغم من رميها بوادٍ كثير السباع، فمر بها مرةً متكرراً، وسألها عن سبب بكائها، فردت عليه، وأخبرته عن سرِّ خوفها على ابنها أن يفترسه الأسد، فقال لها: تبكي وقد فعل بك ما فعل، فقالت قولاً ذاع مثلاً: "تَأْبَى لَهُ ذَلِكَ بَنَاتُ أَلْبُبِي"⁷ 8.

الزوجة

الزواج من أقدم العلاقات البشرية بين الرجل والمرأة، وذلك منذ أن خلق الله آدم وزوجه، وتحتل الزوجة في نفس الجاهلي مكانة مميزة، فهي حبيبته، وسعادته العظمى، وشريكته في بناء الأسرة⁹، وكان العرب يحرصون على تزويج بناتهم بالزوج الكفاء، فقد أوصى قيس بن

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص166.

² نتقت المرأة: كثر أولادها، ابن منظور، لسان العرب، مادة نَتَقَ.

³ أَلْب يَأْلُبُ: إذا اجتمع، المرجع نفسه، مادة لَبَبَ.

⁴ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص32.

⁵ الإحلاب منزلة العطاء، ابن منظور، لسان العرب، مادة حَلَبَ.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص390.

⁷ عروق في القلب تكون منها الرقة، ابن منظور: لسان العرب، مادة لَبَبَ.

⁸ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص133.

⁹ يُنظر: الصائغ، عبد الإله، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ط1، بغداد، العراق، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982م، ص214، يُنظر: الحوسني: نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص53.

زهير العبسي¹ قائلاً: "وَلَا تَرُدُّوا الْأَكْفَاءَ عَنِ النِّسَاءِ فَتَحْجُوهُنَّ إِلَى الْبَلَاءِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا الْأَكْفَاءَ فَخَيْرُ أَزْوَاجِهِنَّ الْقُبُورُ".²

وتمتعت المرأة الجاهلية كما ذكرنا في الفصل السابق بحريتها، فأبدت رأيها في زواجها، الذي هو أهم أمر في حياتها، لذلك فقد ورد في النثر الحديث عن الزواج، فجاءت الخطب، والأمثال، والأقوال، والوصف، والمحاورات؛ لتعطي صورة شاملة عن المرأة الزوجة.

ومن حقوق المرأة على الزواج المهر، فقد قالت هُزَيْلَةُ بنت مازن³: "أما النِّكَاحُ فإنما يكون بالمهر، وأما السِّفَاحُ فإنما يكون بالقَهْرِ".⁴

وقبل أن تختار المرأة زوجها، فهي تبحث عن أوصافه، وتَسْأَلُ عن أخباره، كما حدث مع بنت ملك حمير، عندما اجتمعت مع خدماها، ووصفن لها الرجال، ومما جاء في كلامهن قول إحداهن: "الزوج عَزُّ في الشَّدائد، وفي الخطوب مساعد، إن غَضِبْتَ عَطِيفٌ، وإن مَرَضْتَ لَطِيفٌ"⁵، وأثنت ملكة حمير على كلامها وسألت الثانية فقالت لها: "الزوج شِعَارِي حِينَ أَبْرَدَ، وَمُنْكَئِي حِينَ أَرَقْدُ، وَأُنْسِي حِينَ أَفْرُدُ"⁶، أما الثالثة فقالت: "رَيْقُهُ كَالشَّهْدِ، وَعَنَاقُهُ كَالْخُلْدِ"⁷، وبعد ما سمعت الملكة منهن هذه الأوصاف، طلبت منهن أن يمهلهن أسبوعاً، تنتظر فيما قلن لها، وبعد ذلك اجتمعت بهن، وتحدثت عن مواصفات من تريد الزواج به فقالت: "إِنْ كَانَ مَحْمُودَ الْخَلَائِقِ، مَأْمُونِ الْبَوَائِقِ"⁸، فقد أدركت بُغْيَتِي، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ طَالَتْ شِقْوَتِي... فَأَيُّكُنَّ أَتَنْتَنِي بِمَا

¹ ابن زهير، بن جذيمة، بن رواحة العبسي، أمير عبس، وداهيتها، وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي؛ لوجوده رأي، ويكنى أبا هند، وهو معدود في الأمراء، والداها، والشجعان، والخطباء، والشعراء، الزركلي، الأعلام، ج5، ص206.

² ابن عبدربه، العقد الفريد، ج6، ص86.

³ شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج5، ص210.

⁴ البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، ج2، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989م، ص272؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج15، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص339.

⁵ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص132.

⁶ المصدر نفسه، ص132.

⁷ المصدر نفسه، ص132.

⁸ البائقة: الداهية، ابن منظور، لسان العرب، مادة بَوَقَ.

أحبُّ فلها أجزل الحباء، وعليّ الوفاء¹، فخرجن فيما وجهتهن له، وعدن لها، فحدثنها عن أسماء رجال بمواصفات مختلفة، فأعجبها صفات صمة راحة بن خمير بن مٌضحى بن ذي هلاله، فهو كثير الفوائد، يبذل المال، ويعطي قبل السؤال، فتزوجته، واحتجبت عن خدمها شهراً، ثم أجزلت لهن العطايا.²

وهناك أيضاً هند بنت الخس، عندما سألتها أبوها، أي الرجال أحب إليها، فردت: "السهل النجيب، السّمح الحسيب، النّذب الأريب، السيد المهيّب"³، وسألتها أي الرجال شر، فقالت: "النّطيّط⁴، النّطيّط⁵، الذي معه سويط".⁶

والمرأة حينما تختار زوجاً لها فإنها تفضل ابن بيئتها على الغريب، فالخنساء خطبها دريد بن الصمة⁷، فرفضته وقالت له: "أتراني تاركة بني عمي كأنهم عوالي الرماح، ومرتبته⁸ بني جُشم"⁹، كما أنها تفضل الرجل الكريم، كما فعلت ماوية بنت عفزر¹⁰، عندما امتنعت عن زواج نفسها إلا من كريم، وعندما تقدم لها رجال لخطبتها، وكان منهم حاتم الطائي¹¹، فاخترته معبرة عن ذلك بقولها: "وأما أنت يا حاتم، فمرضي الخلائق، محمود الشيم، كريم النفس، وقد زوجتُك نفسي".¹²

¹ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص132.

² المصدر نفسه، ص132.

³ المصدر نفسه، ص155، نثر الدر، ج4، ص68.

⁴ هو قليل شعر اللحية، ابن منظور، لسان العرب، مادة نطط.

⁵ هو الطويل المديد القامة، المرجع نفسه، مادة نطط.

⁶ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155، نثر الدر، ج4، ص68.

⁷ شاعر، فارس، مشهور "أدرك الإسلام ولم يسلم، كان سيد جشم وفارسهم وقائدهم، ينظر، عبد الرحمن، معجم الشعراء الجاهلية والمخضرمين"، ص117.

⁸ الخلق الخسيس البالي من كل شيء، ابن منظور، لسان العرب، مادة رثث.

⁹ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج1، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1966م، ص343.

¹⁰ ملكة عربية في الجاهلية، كانت تهوى الرجال وتتزوج من أرادت، التونجي، معجم أعلام النساء، ص163.

¹¹ فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد وتتزوج ماوية بنت عفزر، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص151.

¹² البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، ج4، ص216.

وتفضل المرأة الرجل الشجاع البطل، حتى ولو كان أسود، فخود العامرية ، عندما سبيت في بني كنانة، رضيت الزواج برجل أسود، لكنه بطل، وقالت للقوم: "أليس يَمْنَعُ الحليلة؟"، ويركبُ الطويلة ، ويطلبُ البليّة، ويكرّمُ القبيلة ؟ قالوا: بلى، قالت: فهذا أجملُ جمالاً، وأكملُ كمالاً.¹

ولم تكف المرأة بسمات معروفة في الخاطب، بل أخذت تتخيّر وتفاضل، فهند بنت عتبة كما جاء في الفصل السابق، طلبت من أبيها عدم تزويجها برجل حتى يعرضه عليها، فوافق على ذلك، فخطبها رجلان، فطلبت منه أن يصفهما دون تسمية أسمائهما، فوصفهما، فأعرضت عن صفات الأول، فوصف الآخر فأعجبتها صفاته، فقالت عنه: "وأما الآخر فبعل الحرّة الكريمة، إنّي لأخلاق هذا لَوَامِقَةٌ، وإنّي له لموافقة، وإنّي لآخذة. وكان الزوج الذي أعجبت به أبا سفيان بن حرب²، فتزوجته.³

ويختلف مقال المرأة للخطاب، تبعاً لمكانتها، فقد ورد أن ملكة كانت في "سبأ" تقدم لها قوم ليخطبوها، وأخذت ترد عليهم، وذهبت كلماتها أمثالاً، ومما قالت لهم: "لا يسُرُّكَ غائباً مَنْ لا يسُرُّكَ شاهداً"⁴، وقولها: "لا عتابَ على الجندل"⁵، ويحدث أن تضع الفتاة شروطاً على خطيبها، فعندما خطب عمارة بن الوليد⁶، امرأة من قومه، اشترطت عليه قائلةً: "لا أتزوجك ، أو تترك الشراب، والزنا"⁷، وقد كشفت الأمثال عن مواقف طريفة في شروط أهل المرأة لتزويج ابنتهم، فقد كان شرط والد فتاة خطبت، أن يفصل الخاطب بين الذراع والعضد، وكان الخاطب يدعى بطيناً، فأعجبت الفتاة به، فصاحت: "وَأَبْطِيناً بَطْنٌ"⁸، ومن المواقف أيضاً أن امرأة أُخِرَّت في إهدائها

¹ الميداني. مجمع الأمثال، ج1، ص240.

² صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان من أشرف قريش في الجاهلية، وأسلم ليلة فتح مكة؛ ينظر: المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، م4، تحقيق ودراسة وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1998 م، ص273-274.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص208.

⁴ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص25، الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص227.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص227، صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص25.

⁶ لم أعثر على ترجمه له

⁷ الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، الأغاني، ج16 (د.ط)، بيروت، مؤسسه عز الدين، (د.ت)، ص153.

⁸ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص370.

إلى زوجها، بحجة عدم وجود متاع للبيت فقالت غاضبة وعاتبة: "عَلَّةُ ما عَلَّةُ، أَوْتَادُ وَأَخِلَّةُ، وَعَمَدُ الْمِظْلَةِ أَبْرَزُوا لِصِهْرِكُمْ ظُلَّةٌ".¹

ولم يكن ذكر المحاسن والصفات مقصوراً على الرجال، بل هناك رجال وثقوا بنساء يقمن بدور الخاطبة، فالخاطبة هي القادرة على رسم صورة وافية للخطاب²، وأدق وصف، وأشمله، وصف عصام الكندية ذات العقل والبيان، ابنة لأم إياس بنت عوف الشيباني، حين طلب منها الحارث بن عمرو مَلِكُ كِنْدَةَ خطبتها له، فذهبت إلى منزلهم، فرأت الفتاة بحسنها وجمالها، وأعجبت بفصاحة لسانها، فخرجت من عندها وهي تقول أقوالاً ذهبت مثلاً، ومنها: "ترك الخِدَاعَ مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ"³، ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها: "ماوراءك يا عِصَامُ"⁴، وقوله هذا ذهب مثلاً، فقالت: "صَرَّحَ الْمَخْضُ عَنْ الزُّبْدِ"⁵، وأخذت تصفها له ومما جاء في حديثها: "رأيت جَبْهَةَ كَالْمَرَأَةِ الصَّيْلَةِ، يَزِينُهَا شَعْرٌ حَالِكٌ، كأذنان الخيل المقصورة... وأسنانٌ تبدو كالذُّرَرِ، لذيد المُبْتَسَمِ، فيه تَنَائِيَا غُرٍّ"⁶.

وكما تقوم بعض النساء، بدور الخاطبة، يقوم بعض الرجال بمهمة طلب الفتاة من أهلها، نيابة عن الخاطب، ومن ذلك خطبة أبي طالب للنبي محمد عليه الصلاة والسلام للسيدة خديجة بنت خويلد، فقال: "الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي مَنْ لا يُوازن به فتى من قريش إلا رَمَحَ عليه، بُرّاً، وفضلاً، وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قُلٌّ، فإنما المال ظل زائل وعارية مُسْتَرْجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبةٌ، ولها فيه مثلُ ذلك، وما أحببتكم من الصَّدَاقِ فعلى".⁷

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 30.

² الحوسني، نثر المرأة في الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص 209.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 143.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 143.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص 143.

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص 143.

⁷ المصدر نفسه، ج1، ص 77.

وقد يخطب الرجل المرأة بنفسه، ويُعلمها بصفاته فقد خطب رجل عظيم الأنف امرأة، فقال لها: "قد عَلِمْتُ شرطي، وأنا كريم المعاشرة، محتمل للمكاراة، فردت عليه: ما أَشْكُ في احتمالِكَ المكروه، مع حَمَلِكَ هذه الأنف منذ أربعين سنة".¹

وتكشف الأمثال عن الصفات التي تكرهها المرأة في زوجها، ومنها أنها عابت عليه الجبن والتخاذل اللذين يُنقصان من رجولته، فقد عيّرت امرأة من العرب زوجها، الذي تخلف عن قتال عدوه، وظل جالساً في منزله، فرآها تنظر إلى قتال الناس فغار عليها، فقالت: "أَغَيَّرَ وَجَبْنًا".²

وعابت عليه فقالت: "عَبْدُ بَطْنِهِ لا يمنع عرسه ولا يحرز نفسه"³، أو أن تكون طريقة أكله معيبة، كما حدث مع رجل برم، لا يدخل في الميسر لبخله، ولا يشتري اللحم، فجاء إلى امرأته وبين يديها لحم تأكله، فأقبل يأكل معها بضعتين بضعتين، ويقرن بينهما، فقالت امرأته: "أَبْرَمَا قَرُونًا"⁴.⁵ وجاء في الأقوال ما تحدثت فيه المرأة عن صفات وأخلاق سيئة له، ومما جاء في قولها عنه: "ضَيْفُكَ جَائِعٌ، وَجَارُكَ ضَائِعٌ، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْكَ مَنْ أَهَانَكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَكْرَمَكَ...سَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَبَيَّضَ جِسْمَكَ".⁶

وعابت عليه أيضاً قسوة قلبه، فقد ضاعت لامرأة ابنتها، وظل زوجها جالساً، فقالت له: "ما رأيتُ أفسى قلباً، ولا أجمَدَ عيناً منك إنَّ ابنتَكَ ضَلَّتْ، وتفرَّقَ النَّاسُ في طلبها، وأنت جالسٌ غيرُ مكترِثٍ"⁷، وقالت امرأة تعيب زوجها بقولها: "إنك لضيقُ الفناءِ، صغيرُ الإناءِ، قبيحُ الثَّناءِ"⁸، فهي في كلامها توضح أن زوجها بخيل.

¹ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج1، ص 860.

² الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 85.

³ الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص 283.

⁴ الذي يأكل تمرتين تمرتين، ابن منظور، لسان العرب، مادة بَرَمَ، ص 155.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 103.

⁶ الأبي، نثر الدر، ج4، ص 105.

⁷ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج2، ص 28.

⁸ الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ص 220.

ووصفت امرأة زوجها وتحدثت عن صفاته فقالت: "زوجي قصيرُ الشَّبرِ، ضَيِّقُ الصَّدْرِ، لثِيْمُ النَّجْرِ، عَظِيمُ الْكِبَرِ، كَثِيرُ الْفَخْرِ"¹، فقد شملته بأوصاف عدة، عابتها عليه، وفي مقابل هذه الصفات والأخلاق التي تصف المرأة بها زوجها، فإن هناك أخلاقاً وصفات مثلت قوام الحياة السعيدة، فقالت إحداهن في وصف زوجها: "جميلُ ظعينة، وليثُ عرينه، وكلُّ صخر، وجوارُ بحر".²

وقد ترضى المرأة أحياناً بزوج، وإن اتسم بصفات خَلقية غير سوية، فقد جاء في الأمثال أن امرأة تزوجت أعور، وطلقاته، ثم تزوجت بعده رجلاً مكسور الفخذ فقالت: "عَوِيرٌ وكُسِيرٌ، وكلُّ غيرِ خير"³، وقد تقتنع المرأة بالزوج، وتراه أفضل الناس، حتى وإن كان فقيراً، فقد جاء في الأمثال: "هَذَا وَمَذَاقُهُ خَيْرٌ".⁴

وقيل على لسان دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارَة⁵، حين طلقت زوجها الشيخ الكبير الذي يملك المال، وتزوجت آخر فقيراً، فبعثت إلى زوجها الأول رسولاً تطلب منه المعونة، فرجع الرسول يخبرها برفضه، فقالت هذا المثل.⁶

وقد تناولنا في الفصل السابق تعدد الزوجات في العصر الجاهلي، فقد يكون للرجل أكثر من زوجة، فتنشب المشاكل، فقد جاء في النثر، مفاخرة بين الضرات، كما حدث بين أم الصريح بنت أوس، وكانت هي وأم إياس عند أخوين من بني كليب، وكانت الحلال الكلبية، ضرة لأم إياس، فكانت تفاخرها، فقالت أم الصريح غيرة لأختها: ألا أربعي⁷ يا بنت "أم قَيْسٍ"، أتعدين

¹ الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ص 220.

² ابن طيفور، بلاغات النساء، ص131، الأبي: نثر الدر، ج4، ص 90.

³ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص147.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 68.

⁵ الرسالة، ص59.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 68.

⁷ المنزل والدار بعينها، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَبَعَ

محصناً بـ "أوسٍ" و"الخطفي" بـ "الأشعث بن قيس"¹، ما ذاك بالعدل، ولا بالكيس²، فردت عليها "الحلال": إذا "كليب" زخرت في الظلم، ركبت في عرينها³ الأشم⁴، مالك من خال، ولا ابن عم غير هذين، فاصبري للذم، واعتري بالرفقة الأصم، رفقة ذي شقائق هلقم⁵، وركزت المنافرة في هذا النص، على الاعتزاز والتفاخر بنسب كل واحدة منهن، وهي تشابه المنافرات عند الرجال، وتحدثت الأمثال عن الضرات، فقد تحاول الضرة أن تربي ابن ضررتها، وتشفق عليه، وتحنو، ولكن ذلك لا يعجب الأخرى فتقول لها: "ولذلك من دمي عبيبك"⁶، و"ابنك ابن بوحك"⁷.⁸

وقد تعير الضرة ضررتها بعيب فيها فيصير مثلاً، مثلما حدث مع إحدى ضرائر رهم بنت الخزرج، امرأة سعد بن زيد، التي ولدت له مالكا، وعوفاً، وكان ضرائرها إذا ساببنها يقتلن: ياعفلاء، والعفل شيء يخرج من المرأة بعد الولادة، فقالت لها أمها: إذا ساببنك فابدئيهن بعفل، فسابتها امرأة من ضرائرها، فقالت لها رهم: يا عفلاء، فقالت ضررتها قولاً أرسلته مثلاً: رمّتي بدائها وانسلت⁹.

ومع السباب يظهر الأزراء بين الزوجات كما جاء على لسان امرأة، علقت على ضررتها عندما رأتها ترتدي الخلخال بقولها: "بَخ، بَخ، ساقٌ بخلخال"¹⁰، فهذه الضرة تسخر من ضررتها، وتظهر شدة الكراهية لها.

¹ الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي، أبو محمد، أمير كندة، قادهو وأبوه وجدّه قيساً، أمير في الجاهلية والإسلام، أمير في الجاهلية والإسلام، وفد على النبي (ص) بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه، فأسلم، وكان من ذوي الرأي والإقدام، موصوفاً بالهيبة، وسمي بالأشعث؛ لشعث رأسه، الزركلي، الأعلام، ج1، ص332.

² العاقل، ابن منظور، لسان العرب، مادة كَيْس.

³ عرين كل شيء: أوله، وعرين الأنف: مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشم، ابن منظور، لسان العرب، مادة عَرَنَ.

⁴ ارتفاع القصة وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة، ابن منظور، لسان العرب، مادة شَمَمَ.

⁵ يُنظر: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص162.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 363.

⁷ الفرج، ابن منظور، لسان العرب، مادة بَوَحَ.

⁸ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 101.

⁹ المصدر نفسه، ج1، ص 286.

¹⁰ المصدر نفسه، ج2، ص102.

وقد تحسد الضرة ضررتها على ضرب زوجها لها، فضررتها تجد مع الضرب الحُبَّ والتلطف، أما هي فلا تُضرب، ولا تُكْرَم، فتقول: "عَلَى جَارَتِي عِقْقٌ"¹، وَلَيْسَ عَلَيَّ عِقْقٌ"²، وتعني هذه الضرة بقولها، أن على رأس ضررتها شعراً، يجعلها تُضرب، أما هي فعلى الرغم من وجود الشعر لديها، إلا أنها لا تُضرب.

كما جرت العادة أن يتزوج الرجل أكثر من زوجة، فقد ظهر أيضاً، نساء تزوجن من أكثر من زوج بعد أن يتم طلاقهن، فقد تزوجت امرأة عروة بن الورد³ فطلقته، وتزوجت آخر، فوصفت الزوجين ومما جاء في قولها عن عروة: "رَفِيعُ الْعِمَادِ، كَثِيرُ الرِّمَادِ، تُرْضِي الْأَهْلَ وَالْجَانِبَ"⁴، أما الآخر فقالت عنه: "إِنَّ شِمْلَتَكَ الْإِلْتِفَافُ، وَإِنَّ شُرْبَكَ الْإِسْتِفَافُ"⁵، وَإِنَّكَ لَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ، وَتَشَبُّعُ لَيْلَةٍ تُضَافُ"⁶، وقارنت زوجة عروة بن الورد بينه، وبين زوجها السابق في صفاته، ففي مقابل تمتع عروة بالأخلاق النبيلة، عابت على زوجها السابق ارتدائه الشملة، وكثرة شربه بنهم، وعدم احترامه للضيف.

وقد اشتهرت امرأة شريفة بتعدد الأزواج، وهي أم خارجة بنت سعد بن قداد، من بجيلة، ولدت كثيراً من قبائل العرب، من آباء متفرقين، وكنيت بولدها خارجة، ولا يُعلم من هو، وكانت من أجمل أهل زمانها، وإذا تزوج منها الرجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها، فإن شأنت أقامت، وإن شأنت ذهبت، وكانت علامة ارتضاؤها للزوج أن تضع له طعاماً كلما أصبح.⁷ وقد عرفت أنها تجيب كل من خطبها إلى طلبته، حتى ضربوا المثل بقولهم: "أَسْرَعَ مِنْ نِكَاحِ أُمِّ

¹ الشعر الذي يخرج على رأس المولود في بطن أمه، ابن منظور، لسان العرب، مادة عَقَقَ .

² الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص33.

³ من شعراء الجاهلية وفرسانها. ويلقب بعروة الصعاليك، من غطفان، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص227.

⁴ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص127، الأبي، نثر الدر، ج4، ص89.

⁵ الإكثار من الشرب، ابن منظور، لسان العرب، مادة شَفَفَ

⁶ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص127، الأبي، نثر الدر، ج4، ص89.

⁷ يُنْظَرُ: عبد الفتاح، سيد صديق، موسوعة الأم في الدين والأدب والتاريخ، (د.ط)، لبنان، الدار المصرية اللبنانية، 1994م، ص332، يُنْظَرُ: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص627، يُنْظَرُ، البكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، الدكتور عبد المجيد عابدين، ط3، بيروت، دار الأمانة؛ مؤسسة الرسالة، 1981م، ص500، يُنْظَرُ: البرقوقي، دولة النساء، (معجم ثقافي، اجتماعي، لغوي عن المرأة)، ص661.

خَارِجَةً"¹، وظاهرة تعدد أزواج المرأة، لم تكن شائعة شيوع تعدد زوجات الرجل، فالرجل الجاهلي كان يقبل على التعدد كما مر سابقاً، بدوافع اجتماعية، واقتصادية.

وقد انفصل الزوجان، ولكن تبقى بينهما ذكرى الأيام الجميلة، والاحترام المتبادل، فقد جاء قول على لسان امرأة انفصلت عن زوجها، أثنت فيه على حسن أخلاقه، فقالت: "أَثْنَيْتُ وَأَنَا مُثْنِيَّةٌ، فَجُزَيْتَ مِنْ صَاحِبٍ وَمَصْحُوبٍ خَيْرًا، فَمَا اسْتَرَبْتُ² خَبْرَكَ، وَلَا شَكُوتُ خَيْرِكَ، وَلَا تَمْنَتُ نَفْسِي غَيْرَكَ، وَمَا أزدَدْتُ إِلَيْكَ إِلَّا شَرَهَا، وَلَا أَحْسَسْتُ فِي الرِّجَالِ لَكَ شَبَهَا"³. وبقيت هذه المرأة بعد طلاقها من زوجها، تشفق إليه، وتمدحه، وتفضلّه على باقي الرجال.

وقد أدركت المرأة أهمية الزواج وحقوق الزوج عليها، وطاعته، والحرص على ما يرضيه، وقد ذكرنا في وصايا الأمهات لبناتهن عند زفافهن، ما يوضح ذلك. وكشفت الأمثال أيضاً حرص المرأة على المحافظة على زواجها فقالت: "خَلَعُ الدَّرْعِ بِيَدِ الزَّوْجِ"⁴.

ونفذت أوامره كما فعلت زوج رقية بن غانم، حين أمرها زوجها أن تلحق قومها، لتنذرهم من قوم سيقتلوهم، فخرجت إليهم، فلما أنتهم تعرّت، وقالت قولاً ذاع مثلاً: "أنا النذير العريان"⁵، فعرف القوم ما تريد فنجوا، والمرأة وإن لم تكن محظية عند زوجها، فإنها لم تكن مقصرة في الأشياء، التي تحظى النساء بها عند أزواجهن، تقول: "إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةٌ"^{6,7}.

ومما يرتبط بصورة الزوجة، صورة المرأة الأرملة التي فقدت زوجها حيث يظهر الحزن عليها، فقد عيّبَ عليها، أن تظهر بمظاهر الزينة فترة حداثها، ومن هنا جاء المثل: "حَانِيَّةٌ

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 348.

² الشك، والظنه، والتهمة، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَيْبَ.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص126، الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج4، ص 287.

⁴ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص240.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص 48.

⁶ قَصْرَ وَأَبْطَأَ، ابن منظور، لسان العرب، مادة أَلَا.

⁷ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 20.

مُخْتَضِبَةً¹، وضُربَ هذا المثل في امرأة مات زوجها ولها ولد، فزعمت أنها تحنو على ولدها، ولا تتزوج، وكانت في ذلك تخضب يديها.²

وتظل المرأة تذكر زوجها بعد وفاته، قالت امرأة فقدت زوجها: "إني فقدتُ منه سيفاً في مضائه، ورمحاً في استوائه، وبدراً في بهائه"³، أي أن هذه الزوجة افتقدت في زوجها بعد مماته، شجاعته، ورؤيته الجميلة، وبعض النسوة، وإن تزوجن بعد وفاة أزواجهن، يظل عندهن الوفاء للزوج المتوفى، لذلك جاءت الأمثال التي تحدثت عن وفائهن في ظروفٍ مختلفةٍ مثل: "لَا فَتَى إِلَّا عَمْرُو بْنُ تِقْنٍ"⁴، و"مَاءٌ وَلَا كَصَدَاءَ"⁵، و"مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ"⁶، و"حُقَّ لِفَرَسٍ بَعِطْرٍ وَأُنْسٍ"⁷، وتظهرُ هذه الأمثال صور وفاء الزوجة لزوجها المتوفى، فتارةً تكثر الحديث عنه وعن صفاته، وأحياناً أخرى تشبّهه بأعذب الماء، وأفضل أنواع العشب.

وقد يعرض أخو الزوج، الزوج على المرأة بعد وفاة زوجها، وتظهر موافقتها لذلك، فقد حدث أن امرأة مات زوجها، فطلبها أخو زوجها للزواج فقالت: "سَنْجَرُكَ إِذْنٌ"⁸، أي أن موقفها من الزواج به لم يكن مرفوضاً.

وتحترم العرب الزوجة المنجبة، التي ينبغ أبنائها، ويكثر عددهم، ولم تكن العرب تعد المرأة منجبة، من لها أقل من ثلاثة بنين أشرف⁹، ويعود اهتمامهم بالنساء المنجبات، إلى نظرتهن للزمن، وتعلقهم بالحياة المعرضة للقحط والحروب، لذا فالعناية بالمنجبات، معادلة أو موازنة بين الحياة والموت¹⁰، والمرأة العاقر مهما بلغ حسننها وجمالها معرضة للطلاق أو لابتزاز الضرائر،

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص199.

² المصدر نفسه، ج1، ص199.

³ الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج4، ص510.

⁴ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص239.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص277.

⁶ المصدر نفسه، ج2، ص275.

⁷ المصدر نفسه، ج1، ص212.

⁸ المصدر نفسه، ج1، ص174.

⁹ يُنظر: الوصفي، عبد الرحمن، العلاقات الأسرية في الشعر الجاهلي، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م، ص136.

¹⁰ يُنظر: الصائغ، الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، ص212.

ولذلك كانت تلجأ إلى بعض الطقوس كي تتجنب، ومنها العبور فوق جثة القتيل الشريف سبع مرات، ولا تزال النظرة القديمة إلى المرأة المخصبة ماثلة عند قبائل (الباجندا) في وسط إفريقيا، حيث يربط أبنائها بين خصب المرأة وخصب الأرض، فيسرحون الزوجة العاقر لأن وجودها يصيب الأشجار التي يملكها الزوج بالعقم¹.

وقد أظهرت الأمثال هذا الاهتمام، فاعتنت بالمرأة الولود، حيث ورد فيها: "أَنْجَبُ مِنْ أُمِّ الْبَنِينَ"²، و"أَنْجَبُ مِنْ خَبِيئَةٍ"³، و"أَنْجَبُ مِنْ عَاتِكَةٍ"⁴، و"أَنْجَبُ مِنْ مَارِيَةٍ"⁵ و"أَنْجَبُ مِنْ فَاطِمَةٍ بَنَتْ الْخُرْشُبَ"⁶، وأم البنين هي ابنة عمرو بن عامر فارس الضحّياء، فولدت لمالك بن جعفر ابن كلاب، خمسة أبناء ذكور⁷، أما خبيئة بنت رباح العنوية فولدت لجعفر بن كلاب ثلاثة أبناء ذكور⁸، وأما عاتكة بنت هلال بن فالح بن مرة، فولدت لعبد مناف بن قصي، هاشماً، وعبد شمس، والمطلب⁹، أما مارية بنت عبد مناة، فولدت لثلاثة ذكور، حاجباً ولقيطاً، ومعبداً، بن زُرارة بن عُدُس¹⁰، أما فاطمة بنت الخرشب، فولدت لزياد العبسي أربعة ذكور¹¹.

الابنة:

علاقة الابنة بوالديها علاقة قائمة على الاحترام والتقدير، فلهما مكانة سامية في نفسها، وفي قلبها، وترى فيهما القدوة، وتفتخر بهما في كل مجلس، والأم أقرب إلى قلب البنت، وتحرص على الأخذ برأيها في المسائل المتعلقة بحياتها ومستقبلها، فهي تعرض الزواج على ابنتها، وتحاورها لتعرف رغبتها بصدق.

¹ يُنظر: الديك، صدى عشار في الشعر الجاهلي، ص 154-155.

² الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 350.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 350.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 350.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص 349.

⁶ المصدر نفسه، ج2، ص 349.

⁷ المصدر نفسه، ج2، ص 350.

⁸ المصدر نفسه، ج2، ص 350.

⁹ المصدر نفسه، ج2، ص 350.

¹⁰ المصدر نفسه، ج2، ص 349.

¹¹ المصدر نفسه، ج2، ص 349.

فقد ورد في النثر محاوراة لأم مع ابنتها، حين رفضت الابنة الزوج لعله فيه، وهو كبير سنّه، فحاولت الأم أن تقنع ابنتها، حتى تغلبها على رأيها، ومما جاء على لسان الأم: "يا بُنَيَّة، أيُّ الرجال أحبُّ إليك، الكهلُ الجَحَّاحُ¹ الْفَاضِلُ الْهَيَّاجُ²، أم الْفَتَى الْوَضَّاحُ الذَّمُولُ الطَّمَّاحُ³؟ فردت الابنة: "الطَّمَّاح". فقالت الأم: "إن الْفَتَى يَغِيرُكَ، وإن الشَّيْخَ يَمِيرُكَ⁴، وليس الْكَهْلُ الْفَاضِلُ الْكَثِيرُ النَّائِلُ كَالْحَدِّثِ السَّنِّ الْكَثِيرِ الْمَنِّ، فقالت الابنة: يا أمّه إن الْفَتَاةَ تحب الْفَتَى، كُحِبَّ الرِّعَاةَ أُنِيقَ الْكَلَا، فأجابتها الأم: يا بُنَيَّة، إن الْفَتَى شَدِيدُ الْحِجَابِ، كَثِيرُ الْعِتَابِ، وإنَّ الْكَهْلَ لَيِّنُ الْجَنَاحِ، قَلِيلُ الصِّيَاحِ، وختمت ابنتها محاورتها بقولها: أخشى الشَّيْخَ أَنْ يَدُنْسَ ثِيَابِي، وَيُلَيِّ شَبَابِي، وَيُشْمِتَ بِي أَتْرَابِي⁵، وهذه المحاوراة تعرض مدى حرص الأم على ابنتها، وتوجيهها في اختيار الزوج المثالي، وكيف كانت الابنة تعي كلام أمها، ولكنها فضلت الزوج الْفَتَى على الشَّيْخِ.

وقد كشفت الأمثال عن نظرة الابنة لأمها، إذا كانت الأم تتصف بأخلاق سيئة فقد حدث أن امرأة في زمن لقمان بن عاد، ذهبت مع خليل لها، فاحتالت حيلة لذلك، وانكشفت أمام بناتها، فقالت إحداهن: "تَنَّهُانَا أُمُّنَا عَنِ الْغَيِّ وَتَغْدُو فِيهِ"⁶، فردت الأم: "صُغْرَاهُنَّ مُرَّاهُنَّ، مَا كَانَ هَذَا فِي حِسَابِي"⁷، أي أنه لم يكن في حسابها أن يفضح أمرها أمام الملاء.

وكما نالت الابنة عناية والدتها، كذلك اهتم بها والدها، في تربيتها، وحين زواجها، فقد أوصى الآباء بناتهم ليلة زفافهم، ووجهوا لهن النصائح والإرشاد في حياتها⁸، فقد جاءت وصية عامر بن الظرب⁹، لزوجته، بتوجيه كلامه إلى ابنتها، عندما أراد تزويجها، فقال: "مُرِّي ابْنَتَكَ

¹ السيد الكريم، ابن منظور، لسان العرب، مادة جَحَّحَ.

² ثار لمشقة أوضرر، المصدر نفسه، مادة هَيَّجَ.

³ الشره، والبعيد الطَّرْفُ، المصدر نفسه، مادة طَمَّحَ.

⁴ جلب الطعام، المصدر نفسه، مادة مَيَّرَ.

⁵ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 134.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج 1، ص 127.

⁷ المصدر نفسه، ج 1، ص 398.

⁸ ينظر: خنفر، خلقي، الزري واحتفالات الزواج، مجلة التراث والمجتمع، ع 2، 1995م، ص 97.

⁹ هو ابن عمرو بن عياذ العدوان، حكيم، خطيب، رئيس الجاهليين، وكان إمام مضر وحكمها وفارسها وممن حرم الخمر في الجاهلية، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 3، ص 252.

ألا تَنْزِلَ مَفَاذَةً إِلَّا وَمَعَهَا مَاءٌ، فَإِنَّهُ لِلأَعْلَى جَلَاءٌ، وللأسفل نَقَاءٌ وَلَا تَكْثُرُ مُضَاجَعَتُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا مَلَّ الْبَدَنَ، مَلَّ الْقَلْبَ، وَلَا تَمْنَعُهُ شَهْوَتُهُ، فَإِنَّ الْخَطْوَةَ فِي الْمَوَاقِفَةِ¹، وعدم وصيَّة لابنته مباشرة، يعود للحاجز النفسي بين الأب والبنت، وأن البنت أقرب إلى أمها.

وقد ظهر حرص الأب على ابنته في خطب النكاح، قال عامر بن الظرب لصعصعة بن معاوية عندما خطب ابنته: "يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدي، وأرحم ولدي عندي، منعك أو بعثك، النكاح خير من الأئمة²، والحسيب كفاء الحسيب، والزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك"³، وفي هذا دليل على مدى اهتمامه بابنته، واختيار الزوج المناسب لها.

وكان الزبرقان بن بدر⁴، إذا زوج ابنة له دنا من خدرها وقال: "أُتسمعين؟ كوني له أمة، يكن لك عبداً"⁵، وأوصى قيسُ بن خالد⁶، ابنته حين تجهزت للسفر إلى زوجها، قائلاً لها: "وليكن أكثر طيبك الماء"⁷.

ويظل الأب يتفقد ابنته حتى بعد زواجها فالإصبع العدواني⁸، كان له أربع بنات متزوجات، فذهب إليهن بعد عام من تزويجهن، وأخذ يسألهن عن أزواجهن، فسأل الكبرى فقالت: "خيرَ زوجٍ، يُكرِّمُ الحليلةَ، ويُعطي الوسيلةَ"⁹، أما الثانية فوصفت زوجها بقولها: "زوجٌ

¹ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص 76.

² الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، ابن منظور، لسان العرب، مادة أيم.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 20.

⁴ ابن بدر التميمي السعدي، كان فصيحاً، شاعراً، من رؤساء قومه في الجاهلية، لُقِبَ بالزبرقان وهو من أسماء القمر لجمال وجهه، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص41.

⁵ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص211.

⁶ لم أشر على ترجمة له.

⁷ الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص131.

⁸ شاعر، حكيم، شجاع، لقب بذي الإصبع: لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، وشعره مليء بالحكمة والعظمة والفخر، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص173.

⁹ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155، الأبى، نثر الدر، ج4، ص68.

يُكْرِمُ أَهْلَهُ، وَيُنْسِي فَضْلَهُ"¹، أما الثالثة فقالت: "لا بأس، ليس بالبخیلِ الحَترِ"²، ولا بالسَّحِجِ البَذْرِ"³، أما الرابعة فقالت: "زوجٌ يُكْرِمُ نَفْسَهُ، ويَحْتَرِمُ عُرْسَهُ"⁴.

استطاع ذو الإصبع العدواني مما قالته بناته الاطمئنان على حياتهن الزوجية، ومن صور الابنة التي تعكس طبيعة المجتمع الجاهلي، الانتماء المطلق إلى الأسرة، وبخاصة إلى الأب رأس هذه الأسرة، ولذا نرى الفتاة دائماً تقتخر بحسبها ونسبها وأبيها وأهلها، لذلك جاء في الأمثال، "كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ"⁵، وتبقى الابنة وفيّة لأبيها تدافع عنه من أن يصاب بمكروه، كما فعلت الهيجمانة بنت العنبر، حين علمت أن عشيقها يريد أن يُغَيِّرَ على قبيلتها، فأخبرت أباهما محذرتة من ذلك قائلةً "انْجُ وَلَا أَظُنُّكَ نَاجِيًا"⁶، وقد تكثر في المجتمع الأقاويل والإشاعات، وتبلغ حدّ اتهام الأب أسوأ اتهام، فقليل إن امرأة وطئها أبوها فقالت: "عَذَرْتَنِي كُلُّ ذَاتِ أَبٍ"⁷، وهذا المثل يعني أن كل ابنة تدرك أن هذا افتراء وكذب.⁸

ودافعت الابنة عن أبيها في الأحداث، ومن ذلك مناظرة جمانة بنت قيس بن الربيع بن زهير العبسي مع جدها في أحقية درع اشتراه والدها من مكة، واسمها "ذات الفضول"، وورد بها إلى قومه، فرآه عمه الربيع بن زياد، وكان سيد بني عبس، فأخذها منه غصباً⁹، ومما جاء في قولها لجدها: "إنك قد ظلمتَ قيساً بأخذ درعه، وأجدُّ مكافأته إياك سوءَ عَزمه، والمُعَارِضُ منتَصِرٌ، والْبَادِي أَظْلَمُ، وليس قيسٌ مِمَّنْ يَخْوَفُ بالوعيد، ولا يَرُدُّعُهُ التهديدُ، فلا تَرَكَنَّ"¹⁰ إلى منابذته، فالحزمُ في مُتَارَكَتِهِ"¹¹.

¹ الآبي، نثر الدر، ج4، ص68، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155.

² الشيء القليل، ابن منظور، لسان العرب، مادة حَتَرَ.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155، نثر الدر، ج4، ص68.

⁴ الآبي، نثر الدر، ج4، ص68، ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص134.

⁶ المصدر نفسه، ج2، ص339.

⁷ المصدر نفسه، ج2، ص34.

⁸ المصدر نفسه، ج2، ص34.

⁹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص141.

¹⁰ إذا مال إلى الشيء واطمأن إليه، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَكَنَ.

¹¹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص142.

ثم تابعت مناظرتها، بقولها: "والحربُ مُتَلَفَةٌ للعباد، ذَهَابَةٌ بالطَّارِفِ¹، والتَّلَادُ²، والسَّلْمُ، أَرْخَى للَبَالِ، وَأَبْقَى لِلْأَنْفُسِ الرجالَ، وبحقِّ أقول، لقد صَدَعْتُ بِحُكْمٍ، وما يدفعُ قولي غيرُ ذي فَهْمٍ"³، وأنتهت مناظرتها بالشعر تلخص فيه الموقف، فأنشأت تقول:

أَبِي لَا يَرَى أَنْ يَتْرَكَ الدَّهْرَ دِرْعَهُ وَجَدِّي يَرَى أَنْ يَأْخُذَ الدَّرْعَ مِنْ أَبِي
فَرَأَى أَبِي رَأْيَ الْبَخِيلِ بِمَا لِهَ وَشَيْمَةُ جَدِّي شَيْمَةُ الْخَائِفِ الْأَبِيِّ⁴

تولت جمانة مناظرة جدها، أقرب الناس إليها، مستشهدة بالأمثال والحكم، نصرّة لحق والدها، وهذا يظهر أنها لم تكن بعيدة عن الأحداث التي يمرُّ بها والدها، بل وقفت معه، وشاطرته إياها .

الأخت

تقف الأخت مع اخوتها وأخواتها، تسدي لهم النصيحة والإرشاد، وتشاركهم حياتهم بفرحها وترحها، فعثمة بنت مطرود البجليّة، كانت ذات عقل ورأي مُستمع في قومها، وكان لها أخت يقال لها خَوْدٌ، وكانت ذات جمال، فخطبها قوم غرباء جاؤوا مع الشعثاء الكاهنة، فنصحتها أختها بالتروي، وعدم التعجل، وحسن الاختيار، فقالت لها: "تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ، إِنْ شَرَّ الْغَرِيبَةِ يُعْلَنُ، وخيرها يُدْفَنُ، انكحي في قومك ولا تَغْرُرْكَ الأجسام".⁵ وقول عثمة هذا دليل على حرص الأخت على أن تتزوج في قومها، وهذه قيمة جاهلية، ما تزال آثارها إلى يومنا هذا في عدم تغريب البنت في الزواج.

وتظهر صورة الأخت في محبتها لأخيها، ممّا يدل على الترابط الأسري، فنراها تتصحه وترشده إلى التحلي بالخلق السوي، وتنهاه عن الغدر، فهذه عفيفة بنت عَفَّار⁶ تنهى أخاها حين

¹ ما اسْتَحْدَثَتْ مِنَ الْمَالِ واسْتَطْرَفَتْه، ابن منظور، لسان العرب، مادة تَلَدَ.

² المال القديم الأصلي الذي ولد عندك، وهونقيض الطارف، المصدر نفسه، مادة طَرَفَ.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 142.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 142.

⁵ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 104، الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 137.

⁶ بنت عباد الجديسية، التي يقال لها، الشموس والغناء، يُنظر: الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص48.

أراد أن يمكر بأعدائه، ويصنع لهم طعاما كي ينال منهم، قائلة: "لا تفعل، فإنَّ الغدرَ ذلَّةٌ وعارٌ، ولكنَّ كاثروا القومَ في ديارهم، فتظفروا أو تموتوا كراماً".¹

وتوصي خالدة بنت هاشم بن عبد مناف² أخاها بحسن الحديث، والتروِّي في القول، بقولها: "أيَّ أخي، لا تَطْلُعْ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا مَا قَدْ رَوَّاتُ³ فِيهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَمَرْجَتُهُ⁴ بِالْحِلْمِ، وَدَاوَيْتُهُ بِالرَّقِّقِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَشْبَهُ بِكَ"⁵، وتصف الأخت أحياناً أخاها، بشتى أوصافه، الحسنة، والقبيحة، فقد وصفت امرأة أخاها بالحمق بقولها: "إِنَّ أَخِي مِنْ رَطَاتِهِ"⁶، لَا يَعْرِفُ لَطَاتَهُ⁷، مِنْ قَطَاتِهِ⁸.⁹

الحبيبة

وصفت أعرابية العشق فقالت: "خُفِيَ أَنْ يُرَى، وَجَلُّ أَنْ يَخْفَى، فَهُوَ كَامِنٌ كُمُونِ النَّارِ فِي الْحَجَرِ، إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى، وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَّارَى، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شُعْبَةً مِنَ الْجُنُونِ، فَهُوَ عُصَارَةُ السَّحَرِ"¹⁰، ويُظهر النص نظرة العربية للحب، والعشق، والحالة السحرية المرافقه له.

وجاء في رسالة منية، ذات العقل، والفصاحة، التي بعثت بها إلى قابوس بن المنذر¹¹، حديث عن العشق والهوى، فقالت: "دواء كل محبٍّ حبيبه"¹²، "والموتُ أروحٌ من الهوى"¹³

¹ النويري، نهاية الأدب وفنون الأدب، ج15، ص341.

² شاعرة من شواعر العرب وحكيمة من حكماتهم. وكانت تلقب بإقبة الديباج، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، ص315.

³ نَظَرَ فِيهِ، وَتَعَقَّبَهُ، وَلَمْ يَعْجَلْ بِجَوَابِ، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَوَّأَ،

⁴ خَلَطَ، المصدر نفسه، مادة مَرَجَ.

⁵ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص201، الآبي، نثر الدر، ج4، ص47.

⁶ الحمق، ابن منظور، لسان العرب، مادة رَطَطَ.

⁷ جانبي الرأس، المصدر نفسه، مادة لَطَطَ.

⁸ مدار حافر الدابة، المصدر نفسه، مادة قَطَطَ.

⁹ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص268، الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج1، ص660.

¹⁰ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج3، ص127.

¹¹ من ملوك الحيرة، عاصمة العراق في الجاهلية، تولاها بعد مقتل أخيه "عمرو بن هند"، الزركلي، الأعلام، ج5، ص170.

¹² ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص136.

¹³ المصدر نفسه، ج4، ص136.

وتحدثت امرأة عن حالة العاشق، فقالت: "مسكين العاشق، كل شيء عدوه، هبوب الريح يقلقه، ولمعان البرق يؤرقه، ورُسوم الديار تحرقه، والعذل يؤلمه، والتنكير يُسقمه، إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه، ولقد تداويت بالقرب والبعد، فما أنجح فيه دواء".¹

أعطت هذه الأعرابية في وصفها لحالة العاشق، صورة عن الألم والمعاناة التي يمرّ بها في سبيل معشوقته، فكل ما يحيط به يشعره بالقلق، والتوتر، وكان للمرأة رأي في حبيبها وصفاته، فأُم جليحة، وهي امرأة من قيس، عشقت عمرو بن عاصم، وخرج في غزوة، فقتلوه، فلما جاء خبره، وصفته بقولها: "والله لئن قتلتموه لما وجدتم عانتة وافية، ولا حُجرتة جافية"²، وأُم جليحة في وصفها، قد أعطت ملامح دقيقة عن الصفات الحسنة، التي تمتع بها عشيقها.

وعبر الرجال عن عشقهم لمحبيباتهم، فقد عشق رجل امرأة، فقليل له: "ما بلغ من عشقك لها، فقال: كنت أرى القمر على سطحها أحسن منه على سطوح الناس".³ فقد بدت نظرة الرجل لحبيبته في النص، وقيمتها تجلت في تفضيله لأي شيء يخصها.

ووصف أعرابي محبوبته فقال: "كاد الغزال يكونها، لولا ما تم منها ونقص منه، وما كانت أيامي معها إلا كأباهيم"⁴ القطا قصراً، ثم طالت بعدها شوقاً إليها، وأسفا عليها".⁵

وقيل لأعرابي: "ما بلغ حبك لفلانة؟ قال: إني لأذكرها وبينني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها رائحة المسك".⁶ وبلغ من عشق هذا الأعرابي لحبيبته، أنه كان يذكرها يتذكر رائحة المسك، على الرغم من بعد المسافة بينهما. وهذه الأقوال، والرسائل، التي ظهرت في

¹ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين، أخبار النساء - أشهر أخبار النساء في التاريخ العربي، (د.ط)، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة. (د.ت)، ص 71.

² الفيرواني، أبو إسحاق بن علي الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب، ج 2، ط 4، بيروت، لبنان، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، 1972م، ص 796.

³ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج 1، ص 126.

⁴ من الأصابع العظمى، وقد تكون في اليد والقدم. ابن منظور، لسان العرب، مادة بهم.

⁵ الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج 1، ص 126.

⁶ المصدر نفسه، ج 1، ص 123.

النثر الجاهلي، تبين أن المرأة مارست حقها، وأحبت، ووصفت ما يجول في خاطرها، وما يحرك مشاعرها.

ثانياً: صورة المرأة وقيم المجتمع

تمتعت المرأة بالعديد من الأخلاق، والصفات، والمهن منها الجيد، والسييء، ومن جمالياتها الإيجابية:

العفة والحياء والوفاء

قدّر المجتمع الجاهلي العفة، وأباح للرجل أن يذكر أي شيء إلا النساء، فقالوا في أمثالهم: "كلُّ شيءٍ مَهَّةٌ¹ ما خلا النساءَ وَذَكَرَهُنَّ"².

وكانت المرأة العفيفة مثلاً أعلى في نظر الرجال، وهناك حوادث كثيرة تدل على عفتها، ومنها أن سهل بن مالك الفزاري نزل ضيفاً على حارثة بن لأم، فلم يجده، فأكرمته أخته، وراها جميلة، فتعرض لها بأبيات شعر، فردت عليه تقول: "ما هذا بقول ذي عقلٍ أريبٍ³، ولا رأيٍ مصيبٍ، ولا أنفٍ نجيبٍ، فأقم ما أقمتَ مُكرِّماً، ثم ارحلْ إذا شئتَ مسلماً".⁴ فلما سمع قولها، رجع إلى أخيها فخطبها منه، وتزوجها وسار بها إلى قومه⁵.

وبلغت المرأة من عفتها أن تبغض من يسيء الظن بها، وإن كان زوجها، فقد شكّ الفاكه ابن المغيرة⁶ في زوجه هند بنت عتبة⁷، وكانت بريئة، وقضى الكاهن ببراءتها، فأراد العودة لها، فرفضته، وتزوجها لاحقاً أبو سفيان¹.

¹ رفيق، ابن منظور، لسان العرب، مادة مَهَّة.

² الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 132.

³ العقل والدين، ابن منظور، لسان العرب، مادة أَرَبَ.

⁴ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 81

⁵ المصدر نفسه، ص 81.

⁶ أحد الفصحاء المقدمين من قريش في الجاهلية، وهو عم خالد بن الوليد، الزر كلي، الأعلام، ج5، ص 133.

⁷ الرسالة، ص 59.

وحياء المرأة من مكمّلاتها الخُلقية في نظر الرجل، لأنه دليل على تمنعها وأنوثتها، وقد أُعجبَ به العرب، لأن أخلاقهم قائمة على الغيرة والعفة، وجاء في المثل ما يؤكد أهمية هذه الصفة، بقولهم: "أحيا من فتاة ومن هدي²."³

ولم يكن الرجل وحده المعني بقضية الحياء، بل نجده في حديث المرأة، إذ تطرح الجماليات التي تُمنعها بهذا الخلق، فورد على لسان هند بنت الخس، عندما سئلت عن أحب الصفات إليها في النساء فقالت "الستر، والحياء".⁴

وتمتعت المرأة الجاهلية بخلق الوفاء، وكانت الأمهات في وصاياهن لبناتهن، حريصات على أن ينصحنهن بهذا الخلق، فقد جاء في وصية أمّامة بنت الحارث لابنتها قولها: "ولا نقشي له سراً... فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمني غدره"⁵، وفي وصية امرأة أخرى لابنتها بقولها: "ولا تُفشين له سراً، فإنك إن أفشيت سرّه، سقطت من عينه، ولم تأمني غدره"⁶، وهذه الوصايا تبين أهمية تمتع المرأة بهذا الخلق، وقد ورد في مبحث الزوجة، والحببية العديد من الأمثلة عن وفائهن لأزواجهن، ولأحبتهن، في حياتهم، وبعد مماتهن.

الكرم

الكرم من الفضائل الكبرى في المجتمع الجاهلي، وكانت المرأة كريمة وإن لم تبلغ الرجل في كرمه؛ لأنها ليست مختلطة بالرجال اختلاطاً يبعثها على الكرم، ويمهد أمامها الطريق إلى الشهرة به، ولم يكن لها مال إلا مال الزوج أو الأب.⁷

وكانت سفانة بنت حاتم الطائي كأبيها، وجدتها غنية بنت عفيف¹ في الجود والكرم، وتحدث النثر الجاهلي عنهما، فقد كان أبوها يعطيها الإبل فتهبها للناس، قال أبوها لها ذات

¹ يُنظر: صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص81-82.

² الهدي: العروس التي تهوي إلى زوجها، ابن منظور، لسان العرب، مادة هَدَي.

³ الميداني، مجمع الأمثال. ج1، ص 218.

⁴ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص81.

⁵ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 145.

⁶ الأبي، نثر الدر، ج6، ص 398.

⁷ الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص362-363.

يوم: "يا بُنية، إن الغويين إذا اجتمعوا في المال أتلّفاه. فإما أن أعطي وتمسكي، وإما أن أُمسك وتعطي، فقالت: واللّه لا أُمسك أبداً، فقال: وأنا والله ما أُمسك أبداً، فقالت: فلا نتجاوز، فقاسمها ماله وتباينا".²

وتكره المرأة أن تتصف بالبخل، فقد سُئِلَت امرأة عن شيءٍ تعذّر وجوده عندها، فقيل لها: "بَخِلْتِ، فقالت: بَيَّيْتُ يَبْخُلُ لَا أَنَا".³ وقد ورد سابقاً وصية أم لابنها، تحثه على الإنفاق، والكرم، بقولها: "يا بُني، إذا أردت المال مقبلاً فأنفق، فإنه يحتمل النفقة...".⁴ وهذا يؤكد قيمة هذا الخلق وأهميته في المجتمع الجاهلي.

العزّة والأنفة

كانت المرأة كالرجل في عزّتها، واعتزازها بكرامتها، واعتدادها بنفسها، ومن عزّة نفسها ما بدا في صنع بُهَيْسَة بنت أوس الطائي⁵، لما تزوجها الحارث بن عوف⁶، فأمر أبوها أمها أن تهينها، وأمر ببيت لها، فعُملَ لها، وأنزلها وزوجها فيه، فلما مدّ الحارث يده إليها قالت له: "مه، أعند أبي وإخوتي؟ هذا والله لا يكون، فارتحل بها، ثم أراد أن يمسه في الطريق فرفضت قائلة: أكما يفعل بالأمّة الجليبة، أو السبيّة الأخيذة؟ لا والله حتى تحرّ الجُرْز، وتذبح الغنم وتدعو العرب، وتعمل ما يُعمل لمثلي"⁷، فوافق على ذلك، وكان قولها سديداً.

وبلغت المرأة من عزّتها أن فضلت الموت بيدها، على الموت على يد العدو كما حدث مع الزباء¹، عندما وقعت في يد عدوّها، فأخذت خاتماً فيه سم، فمصته، وقالت: "بِيَدِي لَا بِيَدِيكَ يَا عَمْرُو"².

¹ بنت عفيف بن عمرو بن امرئ القيس، أم حاتم الطائي، كانت من أسخى النساء، وأكرمهم للضيف، دعبول، صفوان، تراجم أعلام النساء، إعداد وترتيب إدارة البحث في مؤسسه الرسالة، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص319.

² القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (د.ط)، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1980م، ص23.

³ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص92.

⁴ الأبي، نثر الدر، ج6، ص400.

⁵ من ربات الفصاحة والبلاغة والعقل والرأي، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج1، ص155.

⁶ ومن فرسان الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، ينظر، الزركلي، الأعلام، ج2، ص157.

⁷ الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص143.

الشجاعة

من الأخلاق الجاهلية التي تمتعت بها المرأة الشجاعة، فهي من الفضائل التي مدحت بها، ولم تظهر شجاعتها فقط في مشاركتها الحرب كما ذكرنا سابقاً، بل كانت أيضاً شجاعتها في القول، فالحمراء بنت ضمرة³، وقفت أمام الملك "عمرو بن هند"⁴، ودعت عليه عندما تحاورت معه، ومما جاء في قولها له: "أما والذي أسأله أن يضع وسادك، ويخفّض عمادك، ويسلبك ملكك، ما قتلت إلا نساء أعاليها تُدِيّ، وأسفلها دُمِي"⁵، ولم تظهر شجاعة المرأة في فنون النثر الجاهلي، إلا من خلال هذا القول الذي قالته الحمراء بنت ضمرة.

الحكمة

كان في نساء العرب في الجاهلية، حكيماوات اشتهرن بالعقل، والفهم، والكلام الفصيح، وفصل الحكومات⁶، ومنهن هند بنت الخس، وأختها جمعة⁷، وصُحر بنت لقمان⁸، وزرقاء اليمامة⁹، وفي الأمثال: "أَحْكَمْ مِنْ لُقْمَانَ، وَمِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ"¹⁰، وسجلت لنا المصادر نساء تميّزن بحسن الرأي، والفتنة منهن خالدة بنت هاشم بن عبد، وهند بنت عتبة القرشية¹¹. وقد شاركت المرأة في الأسواق الأدبية، وفي المحاورات، والمناظرات، بكل ما أُوتيت من فصاحة،

¹ ملكة جليلة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم وشدة ملكت الشام، ينظر، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، ص 6.

² الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 418.

³ شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ذات فصاحة وبلاغة، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ج1، ص 295.

⁴ أحد ملوك الحيرة في الجاهلية، عُرف بنسبه إلى أمه هند، كان شديد البأس كثير الفتك، هابته العرب وأطاعته القبائل، ينظر، الزركلي، الأعلام، ج5، ص86.

⁵ الأصفهاني، الأغاني، ج22، ص 195.

⁶ يُنظر: الحراشنة، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، ص9.

⁷ الرسالة، ص51.

⁸ حكيمة من حكيماوات العرب، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، ص323.

⁹ امرأة من جريس، كانت ترى الجيش من مسيرة ثلاثين ميلاً، المرجع نفسه، ج2، ص 35.

¹⁰ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 222.

¹¹ الرسالة، ص59.

وحسن بيان، ففي سوق عكاظ، تحاورت ابنتا الخس، مع القلمس الكناني، الذي كان على درجة عالية من الفصاحة والحكمة¹، وأراد أن يعرف أيهما أبلغ وأذكى.²

فطرح عليهما العديد من الأسئلة، ومنها سؤاله عن النساء أيهن أحبّ، فذكرت جمعة الصفات، فقالت: "أحبّ الغريرة³، العذراء الرعبوبة⁴ العيطاء⁵ الممكورة⁶ اللقاء، ذات الجمال والبهاء والستر والحياء، البضة⁷ الرخصة⁸ كأنها فضة بيضاء"⁹، أما هند فقالت: "أحبّ كلّ مشبعة الخلخال ذات شكل ودلال، وظرف وبهاء وجمال"¹⁰، ويظهر من هذه الأسئلة التي دارت بينهما، أنهما كانتا على قدر من البلاغة، وسرعة الخاطر، فالإجابة دائماً حاضرة في مكانها¹¹، ويظهر أيضاً صورة المرأة في مرآة المرأة، فهي تتحدث عن المرأة المثال، وأوصاف جمالها، ونعومتها، وبياضها، كما تتحدث عن الصفات الخُلُقِيَّة مثل الحياء، وهي بذلك ترسم صورة متكاملة للمرأة التي ترغب فيها.

وتحاورت امرأة من كندة في سوق ذي المجاز، مع عمرو بن معد يكرب¹²، عندما رآها فأعجبه جمالها، وكمالها، وعقلها، فقال لها "هل لك في كفاء،...ضروب لهامة الرجل الغشوم،

¹ يُنظر: الحراحشة، ، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، ص68.

² ابن طيفور، بلاغات النساء، ص79، الحراحشة، ، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، ص68

³ الشابة الحديثة التي لم تجرّب الأمور، لسان العرب، مادة غَرَر.

⁴ الطويلة، ، المصدر نفسه، مادة رَعَب.

⁵ 3 طويلة العنق، ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن ال ياسين، ط1، بيروت، عالم الكتب والنشر، 1994م، مادة عَيْط.

⁶ مستديرة الساقين، ابن منظور، لسان العرب، مادة مَكَّر.

⁷ المرأة الناعمة، المصدر نفسه، مادة بضض.

⁸ الشيء الناعم اللين، ابن عباد، المحيط في اللغة، مادة رَخَص.

⁹ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص81.

¹⁰ المصدر نفسه، ص81.

¹¹ يُنظر، الحراحشة، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، ص102.

¹² من سعد العشيرة من مذحج من اليمن، شاعر جاهلي، ويكنى أبا ثور، من فرسان العرب المشهورين بالبأس، ينظر: عبد الرحمن، عفيف، معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي)، ط1، بيروت، لبنان، دار المناضل، 1996م، ص195.

موات طيب الخيم، من سعد في الصميم، قالت: أمن سعد العشيرة ؟ قال: من سعد العشيرة، في أرومتها الكبيرة، وغرّتها المنيرة، إن كنت بالفرصة بصيرة، قالت: نعم زوج الحرة الكريمة، ولكن لي بعلاً يصدق اللقاء، ويجزل العطاء، فقال: لو علمت أن لك بعلاً ما عرضت نفسي عليك¹، وكانت هذه المرأة في محاورتها مثال المرأة الفصيحة، الجريئة، البليغة.

الذكاء واليقظة

كانت المرأة الجاهلية منتبهة لأيّ خطر قد يحدث، ذكية تستطيع مواجهة الحوادث، ومن ذلك، أن امرأة حنظلة بنت أخي زرارة بن عدس²، خطفت من بين قومها، ولكنها استطاعت أن تعرف وجوه القوم وتصفهم، ومما قالت: "أخذني قومٌ يُقبلون بوجوهِ الأطباء، ويُدبرون بأعجاز النساء....، ورأيتُ رجلاً قد سقط حاجباً على عينيه فهو يرفع حاجبيه، صغير العينين، عن أمره يصُدُّون، ورأيتُ رجلاً قليل المنطق، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها، وهو من أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له لا يدبر أبداً وهما يتبعانه، ولا يقبل إلا وهما بين يديه....، ورأيتُ رجلاً أسوداً أخنسَ قصيراً، إذا تكلم عذم القوم عذم المنخوس....، ورأيتُ رجلاً أسمرَ طويلاً يجولُ في القوم كأنه غريب"³، وتابعت أوصاف القوم، حتى تمكنوا من معرفة خاطفيها، وهم قوم بنو عامر.

وأنذرت المرأة قومها بالخطر، كما فعلت حزام بنت الريان⁴، حين رأت القطا هاربة من أماكنها، فنبهت قومها بقدم قوم هبطوا عليهم، فقالت: "لَوُتَرِكَ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ"⁵، وورد أيضاً في الأمثال عن الذكاء الذي تمتعت به، فقد مرّ رجل بجانب امرأة، وأحبّت أن يراها، فقالت: "يا ويلي رأني ربيعة"⁶.

¹ القالي، ذيل الأمالي والنوادر، ص 151.

² لم أشر على ترجمه لها.

³ الأصفهاني، الأغاني، ج 11، ص 132-134.

⁴ جاهلية، يمانية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، الزركلي، الأعلام، ج 2، ص 171.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 174.

⁶ المصدر نفسه، ج 2، ص 419.

المرأة العاملة

لم تكن المرأة في المجتمع الجاهلي صانعة في بيتها ولأسرتها فحسب، بل قدّمت صناعتها خارج بيتها، ومن الصناعات التي احترفتها، وطلبت الرزق منها، صناعة العطور، وبيعها. وقد تداولت الأخبار عن عطّارة بمكة اسمها منشم، وكان رجال قبيلتي خزاعة وجرهم، إذا تقاتلوا تطيبوا بعطرها؛ ليكثر القتلى فيما بينهم¹، وقد جاء في الأمثال عن تلك المرأة، وعن التشاؤم بعطرها، فقالوا: "أشأْمُ مِنْ مَنْشَمٍ"².

ومن الأعمال التي قامت بها صناعتها للخبز وبيعه، فقد كان هناك امرأة تدعى الحولاء الخبّازة، من بني سعد، وتعرّض لها أحد الرجال، وتناول عن رأسها رغيف خبز، فجادلته، فثار القوم، وقتل بينهم ألف إنسان³، لذلك تشاءموا منها فقالوا: "أشأْمُ مِنْ رَغِيفِ الْحَوْلَاءِ"⁴، وهذه الأمثال التي ضربت في المرأة وصناعاتها، تشير إلى أن العرب تشاءموا من بعض المهن التي مارسها النساء في ذلك الوقت.

وقد ظهرت في المجتمع الجاهلي طبقة اجتماعية تدعى الإماء، تقوم على خدمة أسيادهن، والقيام بواجبات المنزل، وكنّ مهضومات الحقوق، وينظر إليهن نظرة دونية، تظهر احتقارهن، لذلك قالوا فيهن: "لَا تُقْشِرْ سِرِّكَ إِلَى أُمَةٍ"⁵، بل قد تفضح الأمة أمراً مستوراً، كما قالت إحداهن: "إِنَّ وَرَاءَ الْأَكْمَةِ⁶ مَا وَرَاءَهَا"⁷.

ومن الحرف التي امتهنتها المرأة الكهانة، التي لم تكن مقصورة على الرجال، بل كان هناك نساء كاهنات، ومما يدلّ على أسبقية كهنوتية المرأة في الفكر الإنساني، أن الرجل حينما أراد مشاركتها مهمتها، كان عليه أن يلغي ذكوريته، ويتسمّى باسمها، ويلبس لباسها، فكان

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص381.

² المصدر نفسه، ج1، ص381.

³ المصدر نفسه، ج1، ص382.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص382.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص215.

⁶ هو الموضع الذي أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً، ابن منظور، لسان العرب، مادة أكم.

⁷ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص13.

يخصي نفسه تشبيهاً بالكاهنة، التي احتكرت خدمة الآلهة في فجر الديانات، ويشار إليه بضمير المؤنث هي¹.

و صورة المرأة الجاهلية الكاهنة، محاطة بهالات التبجيل، وألوان التقدير، فكانت العالمية والحكمة، والكاشفة عن حجب الغيب². والنساء الكاهنات أكثر عدداً من الكهان، وكن يتفوقن عليهم في ممارسة هذه الوظيفة³. والكاهنة في الجاهلية من سادة القوم وأشرفهم، سيدة مميّزة، مشهورة، لم تكن من سواد الناس، وعامتهم، أو الطبقات الدنيا فيهم؛ ليكون تأثيرها في الناس أكبر، فكانت إما زوجة ملك مثل الكاهنة طريفة الخير⁴، زوجة عمرو بن عامر، أحد ملوك اليمن، وإما ابنة ملك مثل سلمى الهمذانية⁵.

وقد تميزت طريفة الخير بمكانة مرموقة، فهي من تنبأ بخراب سدّ مأرب، وتنبؤها بهذا الخراب، يجعل منها شخصية نموذجية، تصور علاقة الإنسان الأسطورية بالطبيعة من جهة، وبالمجتمع من جهة أخرى⁶. وكانت طريفة قد رأت في منامها، أن سحابة غشيت أرض اليمن، فأرعدت، وأبرقت، ثم صعقت، فأحرقّت كلّ ما وقعت عليه، ففزعت فزعاً شديداً⁷، فذهبت إلى زوجها وهي تقول: "ما رأيتُ اليومَ أزال عني النومَ، رأيتُ غَيْماً رَعَدَ، وَبَرَقاً طويلاً ثم صَعَقَ، فما وقع على شيءٍ إلا احترق... وعُدُّ من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا نكل"⁸.

¹ يُنظر: الديك، إحسان، *الكاهنة الجاهلية قراءة في مكانتها ولغتها*، مجلة كلية الآداب، جامعة البحرين، قيد النشر، ص4.

² يُنظر: الديك، إحسان، *الكاهنة الجاهلية قراءة في مكانتها ولغتها*، ص5.

³ يُنظر: المرجع نفسه، ص5.

⁴ الرسالة، ص62.

⁵ الرسالة، ص62.

⁶ يُنظر: عجينة، محمد، *أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها*، ج2، ط1، بيروت، لبنان، دارالفارابي، 1994م، ص149، يُنظر، علي، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ج6، ص770، يُنظر: العاملي، زينب بنت يوسف، *الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور*، (د.ط)، الكويت، مكتبة ابن قتيبة، 1990م، ص279، يُنظر، فهد، توفيق، *الكهانة العربية قبل الإسلام*، ترجمة حسن عودة، ورندة بعث، مراجعة توفيق فهد، وزياد منى، تقديم الترجمة رضوان السيد، (د.ط)، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007م، ص127.

⁷ صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج1، ص105.

⁸ المرجع نفسه، ج1، ص105.

وقد صدقت تنبؤاتها، فقد أرسل الله تعالى سيلاً على السدّ فهدمه¹، وقد يؤثّر وضع الكاهنة الاجتماعي على تكهنها، ويفضي إلى عدم الإيمان بقولها، إذا كانت أمة من مولودات العرب، لذلك تستدعي أن تكون تابعة لسيدة عزيزة، كريمة تستحوذ ثقة القوم.²

ومن الأمثلة على ذلك ما حدث مع الكاهنة زبراء، عجوز بني رثاء، حين بذلت جهدها لإقناع القوم بتوقعاتها، فخطبت في سبعين رجلاً، تنذرهم بما هو آت، لكن فريقاً منهم لم يهتموا بقولها، فكان مصيرهم الهلاك والندم، وجاءت خطبتها بقولها: "يَا ثَمَرَ الْأَكْبَاد... هَذِهِ زَبْرَاءُ، تخبركم عن أنباء قبل انْحِسَارِ الظُّلُمَاءِ³، وأكملت خطبتها: "وَاللُّوحُ الْخَافِقُ، وَاللَّيْلُ الْغَاسِقُ، وَالصَّبَّاحُ الشَّارِقُ، وَالنَّجْمُ الطَّارِقُ، وَالْمُزْنُ الْوَادِقُ⁴، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْذُوا خَتَلًا⁵، وَيَخْرُقُ أَنْبَاءً عُصَلًا⁶، وَإِنْ صَخْرَ الطَّوْدُ لَيُنْذِرَ تَكَلًّا⁷، لَا تَجِدُونَ عَنْهُ مَعْلًا⁸." ⁹

ويأخذ الناس المشورة من الكاهنات، فسلمى الهمذانية أتاها رجل من قومها أغار على إبله وخيله رجل يقال له حريم، وذهب بها، فقالت: "وَالْخَفْوُ¹⁰، وَالْوَمِيضُ¹¹، وَالشَّقَقُ، كَالْإِحْرِيضِ¹²، وَالْقَلَّةُ وَالْحَضِيضُ، إِنْ حَرِيماً لَمَتَّيْعُ الْحِيزِ¹³، سَيِّدٌ مَزِيْزٌ¹⁴، ذُو مَعْقِلٍ حَرِيْزٍ، غَيْرَ أَنِّي أَرَى الْحُمَّةَ¹⁵، سَتُظَفَّرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ".¹⁶ وبعد قولها هذا أغار الرجل الهمذاني على حريم، وأخذ كل شيء

¹ يُنْظَرُ: صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص108.

² يُنْظَرُ: الديك، الكاهنة الجاهلية قراءة في مكانتها ولغتها، ص6.

³ يُنْظَرُ: صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص110.

⁴ المطر كله شديده وهينه، ابن منظور، لسان العرب، مادة وَدَقَ.

⁵ تخادع عن غفله، المصدر نفسه، مادة خَتَلَ.

⁶ الالتواء عن الشيء، المصدر نفسه، مادة عَصَلَ.

⁷ الموت والهلاك، المصدر نفسه، مادة تَكَلَّ.

⁸ الرفعة والشرف، المصدر نفسه، مادة عَلَا.

⁹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 111.

¹⁰ اللمعان، الصغيف، ابن منظور، لسان العرب، مادة خَفَوَ.

¹¹ أشد من الخفو، المصدر نفسه، مادة وَمَضَى.

¹² العصف الذي يجعل في الطبخ، المصدر نفسه، مادة حَرَضَ.

¹³ حَوَزَ الدار وحَيَّزَها: ما انضم إليها من المرافق والمنافع، المصدر نفسه، مادة حَوَزَ.

¹⁴ فاضل، المصدر نفسه، مادة مَزَزَ.

¹⁵ عله يستجر بها الجسم، من الحميم، المصدر نفسه، مادة حميم.

¹⁶ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 113.

منه.¹ وقد تكهنت إحدى الكاهنات بولادة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فبشّرت آمنة بنت وهب قائلة: "تَلِدِينَ نَذِيرًا لَهُ شَأْنٌ، وَبِرَهَانًا مُنِيرًا".²

وعرف عن بعض الكاهنات قدرتهن على معرفة الأحلام، وتأويلها، كما حدث مع عفيراء الكاهنة الحميرية³، وقصتها مع مرثد بن عبد كلال⁴، رأى رؤيا ولم يستطع تذكرها، فحشد الكواهن، فلم يجد عندهن علماً، حتى اهتدى إلى عفيراء، فعلمته، وفسرته، ثم أعطاها مائة ناقة⁵، وقد احتكم عبد المطلب إلى كاهنة بالحجاز، عندما همّ بقتل ابنه عبد الله⁶.

وقد تلجأ بعض النساء إلى الكاهنات لاعتقادهن بمعرفتهن الطبيّة، ومن ذلك أن رقية بنت جشم بن معاوية، ولدت ثلاثة أبناء، ثم لم تحمل سنين، فذهبت إلى كاهنة ذي الخلصة، فأرتها بطنها وحدثتها عن مشكلتها، فنظرت إليها الكاهنة، ومسّت بطنها، وقالت: "رُبَّ قِبَائِلٍ فَرَّقَ وَمَجَالَسَ حَلَقَ، وَظُعْنَ⁷ حَزَقَ⁸، وَفِي بَطْنِكَ زُقُ⁹"، ومعنى هذا الحديث أن رب جنين تتشعب منه قبائل متفرقة، وتتناسل منه الذكور، يتحلّقون في الأندية والمجالس قد أودع في بطنها¹¹، وهناك أيضاً كاهنات ذاع صيت كهانتهم مثل الزرقاء بنت زهير¹²، وفاطمة بنت مر الخثعمية.¹³

¹ يُنظر: صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج1، ص113.

² الموصلي، ياسين الخطيب، *الروضة الفحاء في تواريخ النساء*، تحقيق عماد علي حمزة، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1987م، ص438.

³ لم أعثر على ترجمة له.

⁴ لم أعثر على ترجمة له.

⁵ يُنظر: صفوت، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج1، ص 115-116.

⁶ يُنظر: الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، ج1، (د.ط.)، (د.م.)، مطبعة المدرسة المحروسة، 1857م، ص288.

⁷ المرأة في اليهودج، ابن منظور، *لسان العرب*، مادة ظَعَنَ.

⁸ الجماعة، *المصدر نفسه*، مادة حَزَقَ.

⁹ الصبيان الصغار، *المصدر نفسه*، مادة زَقَقَ.

¹⁰ صفوت، *جمهرة العرب في عصور العربية الزاهرة*، ج1، ص 112.

¹¹ يُنظر، *المصدر نفسه*، ج1، ص112.

¹² كاهنة من كاهنات العرب في الجاهلية، وكانت تستشار في الحروب، يُنظر، كحالة، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، ج2، ص 31.

¹³ شاعرة من شواعر العرب وكاهنة من كاهناتهم، وكانت أجمل النساء وأعفهن، *المرجع نفسه*، ج4، ص 141.

واحترفت بعض الحرائر الفقيرات مهنة الرعي؛ لأن هذه الحرفة مارسها الإمام، وكانت الراعيات خبيرات بالمرعى، فقد تخاصمت امرأتان إلى هند بنت الخس، في مراعي أبويهما، فقالت الأولى: "إبل أبي ترعى الأسليح"¹، فقالت ابنة الخس: رغوة وصريح، وسنام أطريح²، فقالت الأخرى: مرعى إبل أبي الخلعة، فقالت ابنة الخس: سريعة الدررة³، والجرة⁴.⁵

وعُيِبَ على المرأة في البادية، حلب الماشية، لأنها من مهن الرجال، لذا جاء في الأمثال على لسان امرأة بدوية احتاجت إلى لبن، ولم يحضر من يحلب شاتها، فقالت: "يَحْلَبُ بُنَيَّ وَأَشْدُّ على يَدَيْهِ"⁶، ويتضح من الأقوال والخطب، والأمثال التي تحدثت عن عمل المرأة الجاهلية، أنها مارست حقها كالرجل في بعض الأعمال.

ومن السلوكات المنبوذة التي كانت شائعة في الجاهلية

متاجرة المرأة بنفسها

ويعود متاجرة المرأة بنفسها إلى سوء الأخلاق، والظروف الاقتصادية كالفقر والجوع، وكشفت الأمثال هذه التصرفات الأخلاقية، ومن ذلك قولهم: "أَفَوْدُ مِنْ ظُلْمَةٍ"⁷، وهي امرأة من هذيل، وكانت فاجرة في شبابها، وتتاجر بنفسها حتى عجزت⁸، وقالوا أيضاً: "ابْنُ زَانِيَةٍ بَزَيْتٍ"⁹، وقائلة هذا المثل هي امرأة قالت له لقوم من اللصوص، قضوا منها، وأعطوها قربة زيت، فرفضت، وقالت لا أريدها لأنني أحسبني علقت من أحكم، وأكره أن يكون مولودي مولود زانية

¹ شجرة تغزر عليها الإبل، وقيل هونيات سهلي ينبت ظاهراً، وله ورقة دقيفه لطيفه هي بقلة من أحرار البقول تنبت في الشتاء، ابن منظور، لسان العرب، مادة سَلَحَ.

² طال ثم مال في أحد شقيه، المصدر نفسه، مادة طَرَحَ.

³ درت الناقة إذا درلبنها، المصدر نفسه، مادة دَرَرَ.

⁴ رعت وهي تسير، المصدر نفسه، مادة جَرَرَ.

⁵ الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1968م، ص163.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص414.

⁷ المصدر نفسه، ج2، ص125.

⁸ المصدر نفسه، ج2، ص125.

⁹ المصدر نفسه، ج1، ص109.

بزيت، فذهب قولها مثلاً.¹ وعُرف عن امرأة كانت تؤجر نفسها بدرهمين، فاستأجرها رجل، فلما جامعها أعجبها جماعه وقوته، فجعلت تقول: "صكاً ودرهماك لك".²

وانتشر الزنا في الجاهلية، فالعرب كانوا يستقبحون أن تزني الحرة، فقد عيب على هند بنت الحسن حينما زنت بعبدها، فقالت: "قربُ الوساد،³ وطولُ السواد"⁴، وجاء في الأمثال أيضاً قول أم أعجبت بالرجل الذي زنا بابنتها، بقولها: "بمثل جارية فلتزن الزانية سراً وعلانية"⁵، وقد يفتضح أمر الزانية أمام قومها، أو أبنائها، كما حدث مع امرأة كانت تواعد صديقها ليلاً، فكان يجيء وهي جالسة مع بنيتها، وزوجها فيصفر لها، فتخرج عجزها من وراء البيت، وهي تحدث ولدها، فيقضي الرجل حاجته وينصرف، فعلم بذلك أحد بنيتها، فغاب عنها يومه ثم جاء في ذلك الوقت فصفر ومعه مسمار محمى، فلما أن فعلت كعادتها كواها به، فجاء صديقها بعد ذلك فصفر، فقالت: "فَدَّ قَلْبِنَا صَفِيرُكُمْ".⁷

ومع انغماس بعضهن فإنهن يترددن قبل أن يقعن فيه، ففاقره المرية⁸، قبل أن تقع في الفاحشة مع عبدها، كان حديثها مع نفسها يبين تأنيب الضمير، فقالت: "يا نفسُ لا خير في الشرّة، فإنها تفضح الحرّة، وتحدث العرّة"⁹، ثم أعرضت عنه حيناً، ثم همّت به فقالت: "يا نفسُ موتة مريحة، خيرٌ من الفضيحة، وركوب الفضيحة، وإياك والعار، ولبوس الشنار"¹⁰، وسوى الشعار¹¹، ولؤم الدثار¹²، ثم عادت وقالت: "إن كان مرّة واحدة، فقد تصلحُ الفاسدة، وتكرمُ"

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 109.

² المصدر نفسه، ج1، ص407.

³ المخدة، ابن منظور، لسان العرب، مادة وسد.

⁴ نقيض البياض، المصدر نفسه، سود.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص93.

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص95.

⁷ المصدر نفسه، ج2، ص98.

⁸ كانت من أجمل نساء زمانها، زوجة مرة الأسدي، ينظر:، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج4، ص 155.

⁹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص241.

¹⁰ العيب والعار، ابن منظور، لسان العرب، مادة شَرَّ.

¹¹ ما استشعرت به من الثياب تحتها، المصدر نفسه، مادة شَعَرَ.

¹² الثوب الذي يستدقأبه من فوق الشعر، المصدر نفسه، مادة دَثَرَ.

العائدة¹. وثم وقعت وانتبهت، فقالت مثلاً: "خَيْرٌ قَلِيلٌ وَفَضَحْتُ نَفْسِي"²، وكانت عاقبتها الموت عند رؤية زوجها، أما العبد فكان مصيره الموت على يد الزوج³، وهذه السلوكيات، هي امتحان المرأة لنفسها. كما عاب العرب على المرأة اتصافها بـ:

الحمق

ففي وصية أكنم بن صيفي⁴ إلى طيء: "وإياكم وَنَكَاحَ الْحَمَقَاءِ، فَإِنْ نَكَحَهَا غَرَّرَ⁵، وَوَلَدَهَا إِلَى ضِيَاعٍ"⁶، وكشفت الأمثال عن المرأة الحمقى، بقولهم: "أَحْمَقُ مِنْ دُعَاةٍ"⁷، ومن حمقها أَنَّهَا تزوجت وهي صغيرة في بني العنبر من تميم، فحملت، وولدت، فنظرت إلى يافوخ ولدها يضطرب، وكان قليل النوم، كثير البكاء، فقالت لضررتها: "أعطيني سكيناً، فناولتها، وهي لا تعلم ما انطوت عليه، فمضت وشقت به يافوخ ولدها، فأخرجت دماغه، فلحققتها الضرة، فقالت: "ما الذي تصنعين؟ فقالت: "أخرجت هذه المدة من رأسه ليأخذه النوم، فقد نام"⁸، ومن حمقها أيضاً أَنَّهَا شقت ابنها إلى اثنين، عندما قالت لها أمها: المرأة القادمة تزورينا محتضنةً اثنين، فلما قدمت عند أمها، قالت قولاً ذاع مثلاً: "خُذِي وَلَا تُتَاثِرِي"⁹، وقالت في حادثة أخرى حصلت معها، همت بأن تصلح شيئاً فأفسدته: "هَيْنٌ لَيْنٌ وَأَوْدَتِ الْعَيْنُ"¹⁰، وجميع هذه الأمثال أظهرت حمقها الذي اتصفت به.

وجاء في الأمثال على لسان امرأة خرجت من بيتها، ولما عادت لم تهتد إلى بيتها، ومن حمقها أَنَّهَا كانت تردد بين الحي على تلك الحال خمساً، ثم أشرفت فرأت حالها قريية من

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 241.

² المصدر نفسه، ج1، ص 241.

³ ينظر، المصدر نفسه، ج1، ص 241.

⁴ الرسالة، ص63.

⁵ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص 133.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 219.

⁷ المصدر نفسه، ج1، ص 219.

⁸ المصدر نفسه، ج1، ص 237.

⁹ المصدر نفسه، ج1، ص 237.

¹⁰ المصدر نفسه، ج2، ص 383.

بيتها، ولما وجدته، أسرعت مفاجئة، فقالت: "أَسْرِعْ بِذَاكُمْ صَابَةَ نِقَاباً"¹، وتعني بقولها صابة مثل الطاقة، والطاعة²، وهذه الحادثة تظهر حمق هذه المرأة. ويقال أيضاً: "يا جَهِيْزَةً"³، وهي امرأة عرف عنها الحمق⁴، وضرب المثل أيضاً في امرأة من قريش يُقال لها أم ريطة بنت كعب بن سعد بن تميم، وكانت هذه المرأة تغزل، وتأمر جواريتها أن يغزلن، ثم تنفض وتأمرهن أن ينفضن ما فعلن⁵، فقالوا: "أَخْرَقُ مِنْ نَاكِثَةٍ غَزَلِهَا"⁶، ومن النساء اللاتي عرفن أيضاً بالحمق خُدنة، وهي امرأة من قيس بن ثعلب⁷، فقالوا: "أَحْمَقُ مِنْ خُدْنَةٍ"⁸، ومنهن أيضاً الممهمورة، وهي التي يدفع والدها مهرها للخطيب، لستر عيب فيها، وكأن مهرها رشوة ليقبل فيها، فقالوا: "أَحْمَقُ مِنَ الْمَمْهُورَةِ مِنْ نَعَمِ أَبِيهَا"⁹.

وأظهرت الأمثال غباء بنت الملك الجلندي¹⁰، عندما وضعت حليها على سلحفاة نزلت البحر، وأمرت جواريتها أن يغرفن البحر لتأخذ حليها من على ظهر السلحفاة، فجعلت تقول لهن: "نَزَافَ نَزَافَ، لَمْ يَبْقَ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ قَذَافٍ"^{11 12}.

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 346.

² يُنْظَرُ: المصدر نفسه، ج1، ص 346.

³ المصدر نفسه، ج2، ص 413.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص 413.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص 255.

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص 255.

⁷ المصدر نفسه، ج1، ص 218.

⁸ المصدر نفسه، ج1، ص 218.

⁹ المصدر نفسه، ج1، ص 218.

¹⁰ بنت الجلندي بن كركر، بن المستكبر، بن مسعود، بن الجراز، ملك عُمان، الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 384.

¹¹ غرف الماء من الحوض، أو من شيء تصبُّه بكفك، ابن منظور، لسان العرب، مادة قَذَفَ.

¹² يعقوب، إميل بديع، موسوعة أمثال العرب، ج5، ط1، بيروت، دارالجيل، 1995م، ص 520.

الفصل الرابع

التشكيل الفني لصورة المرأة في النثر الجاهلي

أولاً: الصورة الفنية

ثانياً: المحسنات البديعية

ثالثاً: اللغة والأسلوب

رابعاً: الموسيقى

الفصل الرابع

التشكيل الفني لصورة المرأة في النثر الجاهلي

أولاً: الصورة الفنية

تُعَدُّ الصورة الفنية عنصراً مهماً من عناصر التعبير، لما تحمله بين طياتها من صيغ فنية رمزية، فضلاً عن كونها من الأدوات المفضلة، والوسائل الراقية التي يُعتمد عليها لتجسيم المعاني، وإظهار العواطف.¹

ومهمة الصورة الفنية هي نقل المعاني ملونة بالخيال، على قدر من الطرافة التي تجتذب المتلقي بأسرارها، وعلاقاتها الخفية، وتقود إلى المشاركة، والاستجابة اللتين قلما يستثيرهما الأداء المباشر، والطريقة المألوفة في القول، فاللوحة الفنية التي يبدعها الفنان بريشته، لا تتقل الموجودات الحسية، نقلاً حرفياً مطابقاً لما هي عليه في الواقع العياني المرصود، وإنما يضيف إليها الفنان، ويعيد تشكيل صياغتها التصويرية بما يتمشى مع مشاعره، وأفكاره، ومواهبه.²

"وتتأتى أهمية الصورة من الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهاً إلى المعنى الذي تعرضه".³

ومحاور الصورة أنواع منها:

أ- الصورة الحسية: وتتفرع الصورة الحسية إلى أنماط متعددة، وفق أعضاء الحس، فمنها ما يرد إلى حاسة البصر، ومنها ما يرد إلى حاسة السمع، أو إلى حاسة اللمس، أو إلى حاسة الذوق، أو حاسة الشم، وتشمل الصورة الحسية اللون، والصوت.⁴

¹ يُنظر: عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983م، ص268.

² يُنظر: ناجي، مجيد عبد الحميد، الصورة الشعرية، مجلة الأقلام، ع8، 1984م، ص13.

³ عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص327-328.

⁴ يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية)، ط1، عمان، مكتبة الأقصى، 1979م، ص67.

ب- الصورة الحركية: والحركة ضدّ السكون، وضد الموت¹، وتضم المشي، والركوب، والأكل، والكتابة، والغناء...الخ.²

ج- الصورة الخيالية: وتأتي هذه الصورة من خلال التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز، وسيأتي شرح هذه الموضوعات.

أما مصادر الصورة الفنية في النثر الجاهلي، فقد كانت مستقاة من صميم البيئة الجاهلية، والبيئة الجاهلية شاركت في النمو، والبناء، وظهرت مكونات هذه الحياة في أدبهم بعامّة، وفي نثرهم بخاصّة، فعكست صورة صادقة عن خبرتهم، وشؤونهم، وتفاعلهم بالحياة.

وستتناول في الصورة الفنية، العديد من الأمثلة التي ظهرت في فنون النثر الجاهلي، ومن أبرزها:

● التشبيه

التشبيه فن من الفنون البلاغية، يدل على جمال التصوير، ويزيد المعنى قوة، والجرجاني قال عن التشبيه هو: "أعلم أن الشيئين إذا شَبَّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين، أن يكون أحدهما، من جهة أمر بيّن، لا يحتاج إلى تأويل، والآخر أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل".³

ولا يعد غاية عند الجاهليين، ولا هدفاً، بل هو وسيلة التعبير عن تجاربهم الذاتية، وأداة فنية للكشف عن عوالمهم الداخلية⁴، وصورت أعرابية في وصيتها لابنتها الغيرة بمفتاح الطلاق، الذي يلحق الضرر بها، ويؤثر على استقرار حياتها الزوجية، بقولها: "إياك والغيرة فإنها مفتاح

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة حَرَكَ.

² يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، في النقد الحديث (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية)، ص 67.

³ الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتير، ط2، اسطنبول، مطبعة وزارة المعارف، 1954م، ص 80-81.

⁴ يُنظر، الحاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980م، ص 216.

الطلاق"¹، كما صورت إمامة بنت الحارث في وصيتها لابنتها، شدة حرارة الجوع، بشيء ملتهب، بقولها: "إِنَّ حَرَارَةَ الْجُوعِ مَلْهَبَةٌ"²، وهنا استعانت بالصورة الحسية لأجل توضيح شدّة حرارة الجوع. وشبهت خادمة ملك حمير ريق الزوج بالعلس بقولها: "رَيْقُهُ كَالشَّهْدِ"³، وشبهت عناقه بشيء طويل العهد بقولها: "عِنَاقُهُ كَالْخُلْدِ"⁴، وتوالي التشبيهات جمع صوراً حسية ذوقية، وأخرى حسية لمسية، وقد استطاعت هذه الخادمة في صورتها أن تعطي دلالة دقيقة عن الزوج الذي تريد.

ورسمت عصام الكندية صورة جميلة لبنت أم إياس الشيباني، حينما أرادت خطبتها لملك كندة، فقد أعطته تفاصيل صورتها، بأسلوب فني رائع، ومما جاء قولها: "رَأَيْتُ جَبْهَةَ كَالْمَرَأَةِ الصَّغِيلَةِ، يَزِينُهَا شَعْرٌ حَالِكٌ، كَأَذْنَابِ الْخَيْلِ الْمُقْصُورَةِ... وَأَسْنَانٌ تَبْدُو كَالدُّرَرِ، لَذِيذِ الْمُبْتَسَمِ، فِيهِ ثَنَائًا غُرٌّ، وَبَرِيقٌ كَالْخَمْرِ...، وَعَنْقٌ كَابْرِيقِ الْفُضَّةِ"⁵.

ويكمن جمال الصورة في دقة التصوير، ورسم ملامح المرأة التي أرادت خطبتها لملك كندة، من خلال صور متتابعة، بدأتها بوصف جزئياً تتشكل بمجموعها صورة كلية، مستعينة بالصور الحسية للمسسية، واللون، فقد شبهت شعرها بأذنان الخيل في سواده، وطوله، واستعانت بهذا اللون حين شبهت حاجبيها بالخط الأسود، لروعة منظرهما، وصورت الأسنان بالدرر في لمعانها وبياضها، والعنق بإبريق الفضة، لدلالة على النقاء والجمال، وجميع عناصر هذه الصورة مستوحاة من أجمل ما في البيئة المحيط بها، وهي تشكل ملامح الجمال العربي للفتاة المرغوب فيها عندهم.

وصورت عثمة بنت مطرود الفتیان لأختها في قولها: "تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ؟"⁶، فقد شبهت جمال الفتیان ورشاقتهم، وطول قامتهم بالنخيل، الذي يتسم بجماله المتأصل

¹ الوشاء، الفاضل في صفة الأدب الكامل، ص 224-225.

² صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 1، ص 145.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 132

⁴ المصدر نفسه، ص 132.

⁵ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 1، ص 143.

⁶ المصدر نفسه، ج 1، ص 104.

في طوله، لكن هذا الجمال لا يَشْفُ عما في داخلهم وجوهرهم، كما أن جمال النخلة لا يعني خصوبتها، وجودتها، واستعانت عثمه في رسم صورتها بالأفعال الحسية " تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ"¹؛ لبيان المعنى، فالرؤية حسية، تعكس صورة بصرية، لا تشكل بجمالها وعناصرها صفات الفتیان الجوهرية.

وشبهت امرأة تخاصمت مع ولدها، بطنها بالوعاء، وحجرها بالفناء، وثديها بالسقاء، بقولها: "أما كان بطني لك وعاء؟ أما كان حجري لك فناء؟ أما كان ثديي لك سقاء"²، وجاءت تشبيهات الأم في صورتها، للدلالة على العلاقة الوطيدة بينها وبين ابنها، وقيمة هذه التشبيهات استعطاف واسترحام ابنها، وقد صورت الأمثال، العلاقات بين الضرائر، فقد شبهت ضرة كلام ضررتها بشيء يرمى، كما في المثل: "رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ"³، وفي هذه الصورة، صورة حركية، فالفعلان (رمى، وانسل) يدلان على الحركة، فالفعل انسل يدل على سرعة في الحركة وهذا يدل على عدم اكتراثها بالأثر الذي ستركه كلام ضررتها في نفسها.

• الاستعارة:

الاستعارة أعمق وأبلغ من التشبيه، وأكثر منه قدرة على تحفيز الخيال عند المتلقي؛ لإدراك العلاقات الكامنة التي تُقام بين عناصر الصورة، وشعوره، لأن جمال الاستعارة يكمن في اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة.⁴

والاستعارة: "هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة"⁵، والمعنى الذي تنثيره الاستعارة لا يعدّ ترجمة للواقع، أو صورة منه؛ لأن ذلك يفقدها جماليته التي وضعت من

¹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص104

² الآبي، نثر الدرر، ج4، ص54.

³ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص286.

⁴ ينظر: عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص74.

⁵ أبو موسى، محمد، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط2، القاهرة، مكتبة وهبه، 1980م، ص181-

أجلها¹، وَوُظِفَت الاستعارة في نصوص النثر الجاهلي، فقد أوصت أم ابنها وحذرت من النميمة،
أونشر الحقد في النفوس، بقولها: "إياك والنمائم، فإنها تُتَبِّتُ السَخَائِمَ".²

ويكمن جمال الاستعارة في وصيتها، بتشبيه قبح النميمة بالنبات السوء، الذي لا ينبت
الإسوءاً، وتبرز الاستعارة في معرض حديث إمارة بنت الحارث في وصيتها لابنتها بقولها: "
وَخَلَّفَتِ الْعُشَّ الَّذِي فِيهِ دَرَجَتْ"³، وجمال الصورة في هذه الاستعارة، أنها عبرت عن ألم البعد،
بأن صورت فراق ابنتها، بفراق الطائر الذي كان في عشه ثم تركه، وأفادت جمانه بنت قيس،
من الاستعارة، في مناظرتها مع جدها، حين شبهت الحرب بشيء يؤدي إلى الهلاك، في
قولها: "الْحَرْبُ مُتَلَفَةٌ لِلْعِبَادِ".⁴

وجاء في وصف أعرابية للعاشق، قولها: "إذا دنا الليل منه هرب النوم عنه"⁵، فقد
أرادت هذه الأعرابية في استعارتها، أن تظهر التوتر، والقلق اللذين يصيبا قلب العاشق، وسر
الجمال في هذه الاستعارة تشبيه الليل بانسان يدنو، والنوم بانسان يهرب، فوظفت الفعل "هرب"،
المتضمن صورة حركية، للدلالة على ما يسببه دنو الليل من ضيق له.

الكناية

"هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة،
ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيؤمى به إليه يجعله دليلاً عليه".⁶

وتعتمد الكناية على الإيحاء والتعريض والإيحاء، بما تحمله من القدرة على التعبير،
فتجعل من المعنى أبلغ، وأشد، وأوقع في النفس، والكناية تساعد في تصوير المعنى، أحسن

¹ يُنظر: عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص272.

² الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج4، ص368.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص145.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص142.

⁵ ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ص71.

⁶ الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الاعجاز، تحقيق وتعليق محمود شاكر، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2004م، ص105.

تصوير، وتعمل على رسم الصورة الموحية في أسلوب بليغ، موجز، تتألف ألفاظه مع معانيه¹، وقد تأتي الكناية عن صفة، أو موصوف، أو نسبة لإثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.²

ولجأ قائلو الفنون النثرية إلى الكناية، لبيان المعنى المراد، ومن ذلك ما جاء في وصف عصام الكندية، لابنة أم إياس الشيباني، موظفة إياها في قولها: "ينتهي إلى خصرٍ لولا رحمة الله لاينبتر"³، وقولها هذا في ذكر أجزاء جسم الموصوفة، هو كناية عن صفة الرقة، والدقة.

واستخدمت أمامة بنت الحارث في وصيتها لابنتها، العديد من الكنايات، هادفة بذلك النصيح والإرشاد لها، فقد جاء في قولها لها: "الماء أطيب الطيب المفقود"⁴، وكنت بذلك عن أهمية الماء والاعتسال، وقولها أيضاً: "التعهد لموقع عينه"⁵، فقد استعانت إمامة في كنايتها بالصورة الحسية البصرية، لتستطيع ابنتها رؤية كل شيء، كما لجأت إلى الصورة الشمية، في قولها: "والتفقد لموضع أنفه"⁶، فالأنف كناية عن صفة الشم. هذه بعض من الكنايات التي وظفتها أمامة في وصيتها لابنتها، جاعلةً منها أساساً رئيسية في نجاح العلاقة الزوجية، وعَدَدَتْ امرأة خاصمت زوجها عيوبه، ، حيث قالت: "إنك لضيقُ الفناء، صغيرُ الإناء، قبيحُ الثناء"⁷، وضيق الفناء، وصغر الإناء كنايات للدلالة على البخل، أما قبح الثناء لسوء أخلاقه، وقيمة هذه التشبيهات في الكناية، أنها أعطت صورة دقيقة لصفات زوجها.

وتحدثت امرأة أخرى عن زوجها ووصفته بقولها: "زوجي قصيرُ الشبر، ضيقُ الصدر، لئيمُ النجر، عظيمُ الكبر، كثيرُ الفخر"⁸، وكناياتها جاءت لتصف زوجها بأوصاف عديدة، كرهتها فيه، فتارةً تكني عنه بعيوب خلقية، (قصير الشبر)، وتارة أخرى تصفه بعدم القدرة على

¹ ينظر: زايد، أبو زيد، عبد الرزاق، في علم البيان، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م، ص141-142.

² زين كامل الحويكي، أحمد المصري، رؤى في البلاغة العربية (دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان)، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008م، ص297.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص143.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص145.

⁵ المرجع نفسه، ج1، ص145.

⁶ المرجع نفسه، ج1، ص145.

⁷ الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ص220.

⁸ المصدر نفسه، ج3، ص220.

التحمل؛ لتنتهي وصفها بكناية عن تمتعه بصفة الغرور، وقيمة هذه الكنايات، تكمن في أنها استطاعت رسم ملامح واضحة لزوجها الذي تصفه.

واستخدمت الأمهات الكناية في وصف أبنائهن، فماوية بنت النعمان، حين سئلت عن أحب بنيتها إليها قالت: "الذي لا يُردُّ بسطَ يده بخُلٍّ، ولا يلوي لسانه عَجْزٌ، ولا يُغَيِّرُ طبيعته سَفَةٌ وهو أحد ولَدك" ¹، فهي تفضل في بنيتها صفة الكرم بقولها: "لا يُردُّ بسطَ يده بخُلٍّ" ²، وصفة فصاحة اللسان: "ولا يلوي لسانه عَجْزٌ" ³، وقيمة كناياتها؛ أنها تبرز أهمية هذه الصفتين؛ وتبين مدى حرص الأم على أن يتمتع بنوها بأسمى الصفات.

وأفادت الأمثال من الكناية، حينما تعيب أمراً معيناً، فجاء فيها: "عَبْدُ بَطْنِهِ لا يمنع عرسه ولا يحرز نفسه" ⁴، وفي هذا المثل كناية عن صفة الجشع والشره في الطعام، اللتين تعابان في الشخص إذا وجدتا فيه، وجاء في الأمثال كنايات للتحديث عن الجودة والصفاء، كما جاء في: "مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ" ⁵، فهذا المثل كناية عن جودة السعدان، وهو أفضل مراعي الإبل ⁶، ووصفت أعرابية حالة العاشق فقالت: "هُبُوبَ الرِّيحِ يَقلِّقُهُ" ⁷، وكنت في هذا الوصف عن حالة التوتر والقلق التي تصيب العاشق، مازجةً كنايتها بصورة حركية، تمثلت بالفعل "هب"؛ لتعطي صورة واضحة، عما يضطرب في قلب هذا العاشق.

• المجاز المرسل:

ورد في النثر الجاهلي، العديد من الأمثلة التي وظفت المجاز ؛ لتوضح الصورة، ومن ذلك ما جاء في وصية امرأة لابنتها بقولها: "لا تُهْدِي حِمَاتِكَ الْكَتِفَ" ⁸.

¹ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 204.

² المصدر نفسه، ص 204.

³ المصدر نفسه، ص 204.

⁴ الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج 1، ص 283.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 275.

⁶ المصدر نفسه، ج 2، ص 275.

⁷ ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ص 71.

⁸ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 244.

فعلاقة المجاز هنا علاقة جزئية، حيث استعملت كلمة "الكتف"، وأرادت كل جسمها، وحواسها، وأفاد المجاز هنا الوعظ والإرشاد من الأم لابنتها، حتى تكون أكثر إصغاءً، واحتراماً لها، وفي وصية امرأة أخرى لابنتها قولها: "إن أفشيت سرّ سقطت من عينه"¹، والمجاز علاقته أيضاً جزئية، فذكر كلمة "العين"، هي جزء من الكل، فأعطت هذه العلاقة، صورة واضحة للنصيحة التي أرادت الأم لابنتها.

ثانياً: المحسنات البديعية

حفل النثر الجاهلي بمحسنات بديعية متنوعة منها لفظي، وآخر معنوي، وقد أكسبت هذه المحسنات الكلام جمالاً وزينة، ومن المحسنات البديعية اللفظية التي ظهرت في فنون النثر الجاهلي:

• الجناس

وظفت الشعثاء الكاهنة الجناس، في وصفها لأحد الفتيات، فقالت: "فَالْغَمَرُ بَحْرٌ غَمَرٌ"²، وحقق التجانس التام بين كلمة غمر الأولى وهو اسم الرجل الذي تصفه، والكلمة الثانية بمعنى العطاء، جمالاً، وأكدت على المعنى المطلوب في إعطاء صفات الفتى، ووظفت هند بنت الخس الجناس في قولها: "النَّطِيطُ، النَّطِيطُ"³، وأعطى الجناس الصفات التي تكرها في الرجل، ، فالنطيط: قليل شعر اللحية⁴، والنطيط: الطويل المديد القامة⁵، وظهر الجناس أيضاً في قولها "قُرْبُ الوِسَادِ"⁶، وَطُولُ السُّوَادِ"⁷، فكلمتا (الوساد، والسواد)، تجانستا، وأكدتا على سوء الخلق الذي اتهمت فيه.

¹ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص131.

² صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص104.

³ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155، الأبي، نثر الدرر، ج4، ص68.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة نَطَطَ.

⁵ المصدر نفسه، مادة نَطَطَ.

⁶ المخذة، ابن منظور، لسان العرب، مادة وَسَدَ.

⁷ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص93.

وورد في وصية أمامه بنت الحارث لابنتها، كلمات متجانسة مثل (مرافقة، موافقة)، (غافل، عاقل)، (ذخراً، ذكراً)¹، وقيمة التجانس في هذه الوصية، تحقيقه للغرض الذي أرادته الأم في توجيه ابنتها، وجاء في قول الرباب بنت علقمة الطائي، في حوارها مع والدتها: "أخشى الشيخ أن يدنس ثيابي، ويُلَيِّ شَبَابِي، وَيُشْمِتَ بِي أُرَابِي"، ففي النص جناس بين: ثيابي، شبابي²، وأضفى هذا التجانس جمالاً، ترتاح له أذن السامع، فيصغي إلى ما بعده من الكلام.

• حسن التقسيم

وهو "التجزئة والتفريق"³، وحرصت أمامه بنت الحارث في وصيتها لابنتها، على الإفادة من هذا المحسن البديعي، لتظهر قيمة الوصية التي تقدمها، فقالت: "تذكره للغافل، ومَعُونَة للعاقل"⁴، فالغافل، والعاقل، بحاجة إلى النصيح والإرشاد، للإفادة من تجارب الآخرين، ومن المحسنات البديعية التي ظهرت في فنون النثر الجاهلي:

• الطباق

وهو الجمع بين الشيء وضده في الجملة، أو التركيب اللغوي، وهو نوعان طباق إيجاب وطباق سلب.⁵

وظهر الطباق في فنون النثر الجاهلي، ليزيد من جماله، ويعطيه دقة في التصوير، فقد دعت أعرابية على زوجها بقولها: "سَوَدَ الله وجهك، وَبَيَّضَ جِسْمُكَ"⁶، وفي هذا الدعاء طابقت بين (السواد، والبياض)؛ لتصور ما تمتع به زوجها من الأخلاق.

¹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص145.

² ابن طيفور، بلاغات النساء، ص134.

³ عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص412.

⁴ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص145.

⁵ يُنظر: نواصرة، راضي، البلاغة والبيان وفصاحة الكلام عند سيدنا الإمام، (د.ط)، إربد، الأردن، مؤسسة حماد، 2005م، ص166، سلوم، علي، بلاغة العرب (نشأتها، تطورها، علومها)، ط2، بيروت، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص35.

⁶ الآبي، نثر الدر، ج4، ص105.

ووظفت عثمة بنت مطرود الطباقي في نصحتها لأختها، فقالت: "إن شرَّ الغريبة يُعلن، وخيرها يُدفن"¹، وقد طابقت الأسماء في "الشر"، ضد "الخير"، والأفعال في "يعلن" ضد "يدفن"، وأدت دوراً مهماً في النصيح والتوجيه الذي أرادته عثمة، لتفضيل القريب على الغريب في الزواج.

واستخدمت أم في وصيتها لابنها الطباقي في قولها: "إذا رأيت المال مقبلاً فأنفق، فإنه يحتمل النفقة، وإذا رأيته مدبراً فأنفق، فإن ذهابه فيما تريد، خير من ذهابه فيما لا تريد"²، وقد حقق الطباقي بين الكلمات في هذه الوصية (مُقْبِل، مُدْبِر)، (تريد، لا تريد) الهدف الأساسي من الوصية وهو التدبر في الإنفاق، ووظفَ عامر بن الظرب العدواني، عدداً من الكلمات المتطابقة، ألقاها في أثناء خطبه ابنته وهي: (السر، العلانية)، (الضعيف، القوي)، (الميت، الحي)، (الأرض، السموات)³، والطباقي في نص هذه الخطبة، أعطى صورة عن مفاخر قوم عامر بن الظرب، واستعانت الكاهنة سلمى الهمذانية بالطباقي في خطبتها، ومما جاء فيها كلمتا "والخَفَو"، "وَالْوَمِيض"⁴، فالخفو: اللعان الضعيف⁵، أما الوميض: فهو اللعان الشديد⁶، وبمطابقتها هذه استطاع من لجأ إلى مشورتها الأخذ بقولها.

ولجأت ملكة اليمن في لقائها مع خاطبيها إلى المطابقة، مثل "الْقُلّ، الْكُثْر"، "العُسْر، اليُسْر"⁷، والغرض الذي أرادته من المطابقة في الكلام، المفاضلة بين الرجال الذين عرضوا الزواج عليها، واستخدمت الحمراء بنت ضمرة المطابقة، عندما وقفت أمام الملك، فقالت: "ما قتلت إلا نساءً أعاليتها تُدِيّ، وأسافلها دُمِي"⁸، فالكلمتان المتطابقتان (أعاليتها، أسافلها) أفادتتا في إعطاء صورة بشعة عن هذا الملك الذي قتل نساء قوم الحمراء بنت ضمرة، وتحدثت هزيلة بنت

¹ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص20.

² الآبي، نثر الدر، ج6، ص400.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص20.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص13.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة خَفَو.

⁶ المرجع نفسه، مادة وَمَضَي.

⁷ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص104.

⁸ الأصفهاني، الأغاني، ج22، ص195.

مازن، عن معاناتها مع زوجها، حينما أراد أخذ طفلها منها بعد الطلاق مستعينةً بالطباقي، فقالت: "إني حملتهُ تسعاً، ووضعتُهُ دُفْعاً"¹، فقد طابقت بين (الحمل، الوضع)؛ لتبين التعب في سبيل تربية ولدها.

وجاء في رسالة منية إلى قابوس، كلمات متطابقة، في قولها: "عند تناهي البلاء يكون الفرج"²، وقيمة المطابقة وأثرها في النص، أنها قربت المعنى، فخرجت إلى النص والارشاد، من الأمثلة السابقة، نلاحظ أن الطباقي أدى دوراً مهماً، في إبراز المعنى في الفنون النثرية المختلفة، فضلاً عن أن مجيئه في هذه الفنون، أعطى ملمساً جمالياً لها.

• المقابلة

هي أن يوفق بين معان ونظائرها، والمضاد بضده.³ ومن المقابلات التي ظهرت في الفنون النثرية، ما جاء في وصية فاطمة بنت الخرشب لابنتها، بقولها: "لاتطاعني زوجك فتَمْلِيه، ولاتعاصيه، فتشكّيه"⁴، وفي قول عربية واصفة أخلاق زوجها السيء: "أكرم الناس عليك من أهلك، وأهونهم عليك من أكرمك"⁵، واستعملت جمانة بنت قيس في مناظرتها المقابلة، بقولها: "والحرب متلفة للعباد، ذهابة بالطارف، والتلاد، والسلم، أرخى للبال"⁶.

ثالثاً: اللغة والأسلوب

تفرض طبيعة الموضوع أنواعاً من الألفاظ، تأخذ دورها في بيان المعاني، وترتيب المفردات⁷، وقد ورد في الوصايا ألفاظ مشهورة، محددة، سهلة، تمتاز بالوضوح، مثل وصية أمامة بنت الحارث لابنتها، ومن ألفاظها: "كوني، إياك، لا يشمن....."⁸.

¹ البغدادي، خزنة الأدب ولب لسان العرب، ج2، ص272، النويري، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج15، ص339.

² ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص136.

³ يُنظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص285.

⁴ الأبي، نثر الدر، ج6، ص400.

⁵ المصدر نفسه، ج4، ص105.

⁶ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص142.

⁷ الحوسني، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ج1، ص142.

⁸ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص145.

إلا أن هناك بعض الوصايا، التي قد تشذ، وتستعمل ألفاظاً جاهلية غامضة غير مألوفة لقارئها، إذا قورنت بغيرها من ألفاظ الجاهلية، ومن ذلك ما جاء في وصية أعرابية، ليلة زفاف ابنتها، فقالت: "إقلعي زُجَ رحمة، فإن أقرَ فاقلعي سنانة، ...، فإن أقرَ فضعي الإكاف، ...".¹

وطبيعة لغة المرأة في الأمثال، لغة الحياة اليومية، التي تصدر عن عامة الناس، وتمتاز بألفاظها، والقصر، والإيجاز، مثل: "أنا النذيرُ العُريانُ"²، وتتوخى الأمثال الدقة في إصابتها في تصوير المعنى، والغرض المنشود منها، كقولهم "أخرقُ من ناكثَةٍ غزَلِها"³، أما لغة الرسائل، فكانت سهلة وقوية، مثل رسالة منية إلى قابوس⁴، فقد تضمنت ألفاظاً من صميم المخاطبات اليومية، أما في فن الوصف، والأقوال، فقد تراوحت الألفاظ بين السهلة، والصعبة، والجزلة، كل منها حسب الموضوع الذي قيلت فيه.

ولغة الخطابة، بلغت أحياناً كثرة السهولة، كما في خطبة أبي طالب في زواج الرسول والتي وردت في الفصل السابق، وأحياناً أخرى التعقيد، كما في خطب الكاهنات، التي امتازت بلغة منتخبة، مخصصة لأغراض دينية، وتميزت بالرمزية، والغموض، وقابلية التأويل، باعتبارها لغة علو على مستوى التحدث، للآلة، ومستوى الحديث اليومي⁵.

ومن الأمثلة على ذلك ما قالت سلمى الهذانية في حريم المرادي: "والخَفَرِ وَالْمِيزِ، وَالشَّفَقِ، كَالْإِحْرِيزِ، وَالْقَلَّةِ وَالْحَضِيضِ، إِنَّ حَرِيماً لَمَتَيْعِ الْحِيزِ، سَيِّدُ مَزِيْزٍ، ذُو مَعْقِلِ حَرِيْزٍ"⁶، وقالت زبراء الكاهنة: "وَاللُّوحِ الْخَافِقِ، وَاللَّيْلِ الْغَاسِقِ، وَالصَّبَّاحِ الشَّارِقِ، وَالنَّجْمِ الطَّارِقِ، وَالْمُزْنِ الْوَاقِقِ، إِنَّ شَجَرَ الْوَادِي لَيَأْدُو خَتْلًا، وَيَخْرُقُ أَنْيَاباً عُصْلًا"⁷.

¹ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص77، الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ص212.

² الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص48.

³ المصدر نفسه، ج1، ص255.

⁴ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص136.

⁵ ينظر: الديك، الكاهنة الجاهلية قراءة في مكاتبتها ولغتها، ص16-18.

⁶ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص113.

⁷ المرجع نفسه، ج1، ص111.

ونلاحظ مما سبق أن لغة الفنون النثرية الجاهلية، اختلفت أنماط ألفاظها حسب الموضوع الذي جاءت فيه، أي أنها تراوحت بين الجزلة والسهولة، والقوية، والغريبة، وأخذت الطابع البدوي، أما الأساليب فقد تنوعت، ومنها:

أ- الأسلوب الإنشائي

ويقصد به كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته¹، وجاءت موضوعات هذا الأسلوب في فنون النثر الجاهلي، فقد وظف أسلوب النداء في الوصايا، والخطب، فزبراء الكاهنة لجأت إلى النداء حين خاطبت قومها، فقالت: "يا ثمرَ الأكباد"²، و"يا" في قولها للنداء القريب ودلالته النصيح والمحبة لقومها، أما الوصايا، فجميعها بدأت بالنداء، كوصية أمامه بنت الحارث لابنتها: "أي بنية"³، "فحرف النداء" أي "للقريب، و خرج معناه إلى النصيح والإرشاد.

أما أسلوب الأمر، فقد ظهر أيضاً في الوصايا، كما في وصية فاطمة بنت الخرشب لابنتها،: "عطري، اجتنبي، أكرمي، أطيعي"⁴، ولم تكن ألفاظ الأمر هذه سوى جملة من النصائح التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على المحبة والحرص وترجي الخير لابنتها، وأفاد قائلو الأمثال من هذا الأسلوب، كما في مثل: "انجُ ولا أظنك ناجياً"⁵، ودلالة الأمر هنا في الفعل "انج" "الخوف على مصير والدها من القتل على يد الأعداء.

أما أسلوب النهي، وهو خلاف الأمر، فقد ظهر في النصوص النثرية، كما جاء في وصية خالدة بنت هاشم لأخيها، حيث قالت: "لا تَطْلُعْ مِنَ الكلامِ، إلا ما قدر روأت فيه قبلَ ذلك"⁶، فهي تنهى أخاها عن السرعة في أثناء الكلام، فخرج النهي إلى النصيح والإرشاد، واستعانت امرأة

¹ يُنظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 82.

² صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج 1، ص 110.

³ المرجع نفسه، ج 1، ص 145.

⁴ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 201.

⁵ الميداني، مجمع الأمثال، ج 2، ص 134.

⁶ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 1-2، الأبى، نثر الدر، ج 4، ص 47.

في وصيتها لابنتها بالنهي، قائلة: "لا تُهدي إلى حماتك الكَتَفَ"¹، فاستخدامها لأسلوب النهي خرج إلى التوجيه والنصح، حتى أصبحت وصيتها مثلاً.

ومن الأساليب الإنشائية: التحذير والإغراء، ويقصد بالتحذير: "الأمر للتنبيه إلى حدوث فعل ما"²، أما الإغراء: فهو أمر لإلزام الفعل³، ووظفت زبراء الكاهنة الإغراء في خطبتها قائلة: "مَهلاً يا بني الأعزّة"⁴، فزبراء باستخدامها أسلوب الأمر "مهلاً"، تحدث قومها وتتنذرهم من الأقوام المتناظرين عليهم، أما الإغراء فقد تمثل في وصية أعرابية ليلة زفاف ابنتها، بقولها: "إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق"⁵، فاسم الفعل "إياك" أفاد النصح والإرشاد.

ووظف أسلوب الشرط في الرسائل، كما جاء في رسالة منية إلى قابوس: "مَنْ سَنَّ سُنَّةً فليرضَ بأن يحكم عليه بها"⁶، وأسلوب الشرط خرج إلى التوجيه والحكمة.

رابعاً: الموسيقى

الموسيقى: "هي الإيقاع في النص الأدبي الناتج عن اختيار الحروف، وتآلف العبارات وأنغام الأوزان، والقوافي، وحروف الروي"⁷، وانتشر في العصر الجاهلي السجع، وهو الكلام المقفى⁸، أو اتفاق الفاصلتين في الحرف الأخير⁹، والسجع من الأدوات الموسيقية، التي وظفتها المرأة في نثرها، لاغناء قولها.

¹ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص244.

² الشايب، أحمد، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ط8، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1988م، ص118.

³ المرجع نفسه، ص118.

⁴ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص111.

⁵ الوشاء، الفاضل في صفة الأدب الكامل، ص224-225.

⁶ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص136.

⁷ التونجي، محمد، المعجم المفضل في الأدب، ج1، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م، ص837.

⁸ عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص310.

⁹ وهبة، المهندس، مجدي، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، (د.م)، مكتبة لبنان، 1984م، ص197.

وعُرِفَ سجعٌ خاصٌّ بفئة الكهان، حيث لجأ الكهان إلى استخدامه في خطابهم مع الناس للسيطرة على النفوس، وسجع الكهان، ضرب من ضروب الكلام، خصت به الخطابة في الجاهلية، وقد نهى النبي محمد عليه السلام عنه، لبعده عن الصدق، ومشاركته في علم الغيب.¹

ومن الأمثلة على توظيف السجع، في الفنون النثرية، قول طريفة الخير في خطبتها، في تكلّمها بخراب سد مأرب: "وعُدُّ من الله نزل، وباطل بطل، ونكال بنا نكل" ²، فالألفاظ المسجوعة "نزل، وبطل، ونكل" أعطت جرساً موسيقياً عذباً، ناتجاً عن هذه الفواصل المتساوية، وقيل في الأمثال: "زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قَعُوْدٍ"³، فالعبارة اتفقت ألفاظها المسجوعة "عود، قعود"، في الحرف الأخير دون الوزن، وهذا ما يطلق عليه بالسجع المطرف⁴، وهذا السجع أعطى للفظتين عذوبة، وروعة في التعبير ناتجة عن توافق الحروف،

واستعان ذو الإصبع العدواني بالسجع، في حوارهِ مع بناته، فقال: "مالٌ عميم، وزوجٌ كريم"⁵، فلفظتا "عميم، كريم"، تتقابلان في الوزن، والروي، وقد تتكرر الحروف والكلمات؛ لتعطي إيقاعاً مميزاً في الكلام، مثل المثل: "عِلَّةٌ ما عِلَّةٌ، أُوْتَادٌ وَأَخِلَّةٌ، وَعَمَدٌ الْمِظَلَّةُ أَبْرَزُوا لِصِهْرِكُمْ ظُلَّةٌ"⁶، فالصوت المشدد اللام في هذا النص تكرر في كل من (عِلَّةٌ، أَخِلَّةٌ، الْمِظَلَّةُ، ظُلَّةٌ)، بالإضافة إلى تكرار كلمة "عِلَّةٌ"، وساهم هذا التكرار في تحقيق الإنسجام بين الصوت والمعنى.

وقد يكون تكرار الكلمة للتحذير، حينما أرادت أم أن توصي ابنتها قائلّة: "إقْلَعِي زُجَّ رَمَحِهِ، فَإِنْ أَقْرَ فاقطعي سنانهُ، فَإِنْ أَقْرَ فاقطعي اللحم على ترسه، فَإِنْ أَقْرَ فضعي الإكاف على ظهره، فَإِنما هو حمار"⁷، وتكرر حرف "لا النافية" في قول خادمة بنت ملك حمير عن الزوج،

¹ الديك، الكاهنة الجاهلية قراءة في مكانتها ولغتها، ص19.

² صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص107.

³ الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص320.

⁴ يُنظر: عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص314.

⁵ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص155.

⁶ الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص30.

⁷ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج4، ص77، الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ج3، ص212.

حين قالت: "لايُملُّ قِرْآنُهُ، ولايُخافُ حِرْآنُهُ"¹، فحرف لا النافية، وتكراره في النص، أعطى إيحاءً محسوساً للقاريء، ويكرر الحرف لزيادة التأكيد، كما قالت أم تأبط شراً: "والله ما ولدته يَتْنًا، ولا سَقِيْتُهُ غِيلاً، ولا أبتُهُ على مَأَقَةٍ"²، وتكرر ضمير المتكلم: "أنا"، في لقاء ملكة اليمن مع خاطبيها، فكل من أراد خطبتها وعرف نفسه، كرر هذا الضمير، كقول أحدهم: "أنا شماس، ابن عباس"³، وقول آخر: "أنا في مال أثيث"⁴.

أما تكرار الضمائر المتصلة، فقد تنوعت بين ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فقد تكرر ضمير المخاطب "أنت"، في سياق قول إحدى خادמות بنت ملك عن الزوج: "إن غَضِبْتَ عَطِفَ، وإن مَرَضْتَ لَطِفَ"⁵، فتكرر هذا الضمير أسهم في إغناء الموسيقى الداخلية في النص، وتحقيق الانسجام في الصورة الفنية.

وتكرر ضمير الغائب المتصل الهاء في قول ابنة ذي الإصبع العدوانى زوجها: "زوج يُكْرِمُ نَفْسَهُ، ويَحْتَرِمُ عُرْسَهُ"⁶، وتكرر هذا الضمير أفاد في إبراز الصورة، التي رسمها كل واحد منهما عن نفسه، وهناك العديد من الأمثلة التي ظهرت في مختلف فنون النثر الجاهلي، توضح سمة التكرار، أما الأوزان الصرفية، من الكلام المنثور، فقد كانت متساوية في أوزانها، وهو ما يطلق عليه بالموازنة⁷، ومن الأمثلة على ذلك قول أمامه بنت الحارث في وصيتها لابنتها: "حتى تؤثرني رضاه على رضاك، وهواه على هوائك"⁸، وهنا توافقت اللفظتان توافقاً موسيقياً.

واعتمد على الجناس في كتابة النصوص؛ لاضفاء موسيقى إلى النص؛ ليزيد من وضوح نغمتها، ويثير النفس، وتطرب إليها الأذن، وقد ورد في جميع النصوص النثرية المختلفة، ومن

¹ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص132.

² ابن عبدربه، العقد الفريد، ج6، ص118.

³ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص25.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص25.

⁵ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص132.

⁶ المصدر نفسه، ص155، الأبي، نثر الدر، ج4، ص68.

⁷ يُنْظَر، عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة، ص661.

⁸ صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج1، ص145.

الأمثلة على ذلك، ما جاء فيوصية أم لابنتها: "وكوني له وطاء يكن لك غطاءً"¹، فلفظتنا وطاء، وغطاء أسهمتا في إعطاء جرس موسيقي، للصورة الفنية التي رسمتها الأمر، ويتضح مما سبق في هذا الفصل أن قائل النثر الجاهلي، أفادوا من الصورة الفنية ووسائلها، واستعانوا بالمحسنات البديعية المختلفة، والأساليب، والموسيقى، تماماً كالشعر.

¹ الآبي، نثر الدر، ج6، ص398.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، تلخصها الباحثة على النحو الآتي:

1. لم تكن مكانة المرأة في حضارات الفكر القديم متشابهة، فبعضها أنصفها، وأعطاه حقوقها، وواجباتها، بل وصلت إلى حد عبادتها، كما في حضارة اليمن، وبلاد الرافدين، ومصر، وبعضها الآخر من الحضارات سلبها هذه الحقوق، واضطهدها، مثل بعض شعوب بلاد الشام، والإغريق، والرومان في الغرب.
2. حظيت المرأة في العصر الجاهلي، بمكانة مميزة، لم تحظَ بها في الحضارات الأخرى، فقد شكلت دعامة أساسية في بناء الحياة في المجتمع الجاهلي.
3. وأد المرأة، وختانها، عند الجاهليين، والمصريين، والإغريق، والرومان، دليل على مكانتها، وقد استهتأ عند هذه الشعوب .
4. التزمت المرأة بلباس الحجاب، كمظهر اجتماعي، اقتصر على المرأة الحرة والراقية في الجاهلية، وبلاد الرافدين، والشام، والإغريق، والرومان.
5. قلة النثر الجاهلي، مقارنة بالشعر، نظراً لاهتمام الدارسين في معظم الدراسات، بجمعه، وتحقيقه.
6. رغم قلة النثر الجاهلي عامة، والنثر الذي يتناول صورة المرأة خاصة، إلا أنه استطاع أن يعطي صورة واضحة للواقع الذي عاشته.
7. تعددت صور المرأة في الفنون النثرية المختلفة، فظهرت في الأسرة، وفي القيم العليا للمجتمع الجاهلي، وساهمت في بنائه.
8. أكثر الفنون النثرية التي أظهرت صور المرأة في الأسرة، تمثلت في فن الوصية، والأمثال، أما في القيم العليا للمجتمع فقد طغت الأمثال على الفنون النثرية الأخرى.

9. إن استقراء النصوص النثرية التي تناولت صورة المرأة يبيّن أن هذه النصوص له أثر في رؤية مدى العطاء الأدبي للمرأة، وتفاعلها مع الحياة وما كان لهذه النصوص من أثر كبير في التربية والأخلاق.

11. لم تقتصر الصورة الفنية، واللغة، والأسلوب، والمحسنات البديعية، والموسيقى على الشعر، بل جاءت في النثر، وأعطت صورة جمالية رائعة، ولمسات فنية لنصوصها.

12. وظف قائلو الفنون النثرية، في تشكيل الصورة الفنية، التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية.

13. كان للسجع حضوراً بارزاً في فنون النثر الجاهلي، فأدى دوراً كبيراً في إيضاح صورة المرأة.

14. لغة بعض الفنون النثرية، يرتقي مستواها عن لغة عامة الناس، كما ظهر ذلك في خطب الكواهن.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس، العهد القديم، (د.ط)،(د.م)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1996م.

الآبي، أبو سعيد، منصور بن الحسين، نشر الدر، تحقيق محمد علي قرنة، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار صادر، 1965م.

الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (د.ط)،(د.م)، مطبعة المدرسة المحروسة، 1857م.

الأسد، ناصر الدين: القيان والغناء في العصر الجاهلي، ط2، مصر، دار المعارف، 1968م.

الأسدي، بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق عزه حسين، ط2، بيروت، لبنان، دار الشروق العربي، 1995م.

الإسكندري، أحمد، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، ط7، القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1923م.

الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، الأغاني، (د.ط)، بيروت، مؤسسه عز الدين، (د.ت).

الأصفهاني، أبو القاسم بن محمد الراغب، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، ط1، (د.م)، المكتبة الحيدرية، 1996م.

الآلوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبدالله الحسني: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجت الأثري، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

- أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط1، (د.م)، مكتبة النهضة المصرية، 1965م.
- أنترمان: آلان: اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، ترجمة عبد الله الشيخ، مراجعة: أحمد شلبي، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2004م.
- الأندلسي، أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، (د.م)، دار المعارف، 1982م.
- الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق عبدالمجيد الترخيني، ط1، بيروت، ، لبنان، دارالكتاب العربي، 1983م.
- الأنصاري، فاضل: العبودية (الرق والمرأة بين الإسلام الرسولي والإسلام التاريخي)، ط1، سورية، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- إيمار: أندريه، و أوبوابه، : تاريخ الحضارات العام، إشراف: موريس كروزية، ترجمة: فريد دانمر، فؤاد أبو ريحان، ط3، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1994م.
- البدوي، خليل: موسوعة شهيرات النساء، ط1، عمان، الأردن، دار البدوي للنشر والتوزيع، 1998م.
- البرقوقى، عبد الرحمن: دولة النساء (معجم ثقافي، اجتماعي، لغوي عن المرأة)، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 2004م.
- بركة، إقبال: الحجاب رؤية عصرية، ط1، دمشق، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، 2003م.
- البستاني، بطرس: موسوعة الحضارة العربية، (د.ط)، (د.م)، دار كلمات للنشر، 1995م.
- أدباء العرب في الجاهلية وصدرالإسلام، ط7، بيروت، دار صادر، 1957م.

البستاني، كرم: النساء العربيات في الأدب، في الغناء، في الحرب، في الكهانة، (د.ط.)، بيروت، دار بيروت وصادر للطباعة والنشر، 1964م.

بطانية، محمد ضيف الله: الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام، ط2، عمان، دار طارق للنشر والتوزيع، 1997م.

البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري - دراسة في أصولها وتطورها، ط2، بيروت، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989م.

أبو بكر، علاء: إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، (د.ط.)، (د.م.)، مركز التنوير، 2005م.

البكري، أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس، والدكتور عبد المجيد عابدين، ط3، بيروت، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، 1981م.

بليغ، عبد الحكيم، النشر الفني وأثر الجاحظ فيه، (د.ط.)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.

بيتر، مونيكا: المرأة عبر التاريخ، ترجمة هنرييت عبودي، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1979م.

الترمانيني، عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام - دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشريعة-، ط3، دمشق، دارطلاس، 1996م.

تفاحة، أحمد زكي: المرأة والإسلام، (د.ط.)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (د.ت.).

التونجي، محمد، المعجم المفضل في الأدب، ط2، بيروت، لبنان، دارالكتب العلمية، 1993م.

- معجم أعلام النساء، ط1، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، 2001م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1968م.
- الجارم، محمد نعمان: أديان العرب في الجاهلية، ط1، القاهرة، مطبعة السعادة، 1923م.
- جيران، نعمان محمود محمد، آل ثاني، وروضة سحيم: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (د.ط)، إربد، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، 1998م.
- جبري، عبد المنعم: المرأة عبر التاريخ البشري، ط1، سورية، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع، 2006م.
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: ه. ريتز، ط2، اسطنبول، مطبعة وزارة الأوقاف، 1951م.
- دلائل الاعجاز، تحقيق وتعليق محمود شاكر، ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2004م .
- الجمري، عبد الأمير منصور: المرأة في ظل الإسلام، تقديم: محمد بكر العلوم، ط4، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1986م.
- الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، (د.ط)، القاهرة، مصر، دار المعارف، (د.ت).
- جياووك، مصطفى عبد اللطيف: الحياة والموت في الشعر الجاهلي، (د.ط)، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1977م.
- حاوي، إيليا، فن الخطابة وتطوره في الأدب العربي، (د.ط)، بيروت، منشورات دار الشرق الجديد، 1961م.
- حاوي، إيليا، فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1980م.

حجة، تيسير، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية (دراسة مقارنة)، رام الله، فلسطين، مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية شمس، 2009م.

حسن، ديب: المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، ط1، ، دمشق، سورية، صفحات للدراسات والنشر، 2007م.

حسين، زليخا أمين، موسوعة ينابيع المعرفة (حضارات و أعلام)،(د.ط)، عمان ،دار دجلة، ، 2008م.

الحسيني، مبشر، المرأة وحقوقها في الإسلام، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1984م .

حمدان، حسين: حواء التي أنصفها الإسلام، ط1، القاهرة، دار الإسراء للنشر والتوزيع، 1999م.

حمودة، منتصر: الحماية الدولية لحقوق المرأة - دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية - ، (د.ط)،الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2007م.

الحوت، محمود: في طريق المثلولوجيا عند العرب، ط1، بيروت، مطبعة دار الكتب، 1955م.

الحوسني، عبد الحي، نثر المرأة من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي، ط1، أبو ظبي، المجمع الثقافي، 2004م.

الحوفي، أحمد: المرأة في الشعر الجاهلي، ط3، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1980م.

الغزل في العصر الجاهلي،(د.ط)، بيروت، لبنان، دار القلم، (د.ت).

الخطيب، هاشم: القيم والمثل الخلقية عند العرب قبل الإسلام وعصر الرسالة، ط2، إربد، الأردن، دار الكتاب، 2005م.

- خفاجي، محمد عبد المنعم، **الشعر الجاهلي**، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1986م.
- خليل، أحمد: **في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي**، ط1، دمشق، سورية، دار الفكر، 1996م.
- الخليل، سحر، **مختارات من النثر العربي**، ط2، عمان، دار البداية، 2011م.
- داوود، الأب جرجس: **أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي**، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1981م.
- درويش، محمد طاهر، **الخطابة في صدر الإسلام**، ط1، مصر، دار المعارف، (د. ت).
- درويش، هدى: **حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية**، ط1، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2005م.
- دعبول، صفوان، **تراجم أعلام النساء**، إعداد وترتيب إدارة البحث في مؤسسه الرسالة، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
- ديروش، كريستان، **المرأة في زمن الفراعنة**، ترجمة حليم طوسون، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، 2000م.
- ديلابورت: **بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والآشورية)** ترجمة محرم كمال، (د. ط)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.
- ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران، (د. ط)، (د. م)، الإدارة الثقافية، جامعه الدول العربية، (د. ت).
- ربرت، هلند، **تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي الى صدر الإسلام (3200 ق. م - 630م)**، ترجمة عدنان حسن، مراجعة زياد منى، ط1، بيروت، لبنان، قدمس للنشر والتوزيع، 2010م.

أبو رقطي، عبد المالك: **المرأة بين الأرض والسماء**، (د.ط)، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2009م.

رين، ناتالي: **المرأة اليهودية (الماضي، الحاضر، المستقبل)**، تعريب سهام منصور، ط2، (د.م) مكتبة مدبولي، 1987م.

زايد، أبو زيد، عبد الرزاق، **في علم البيان**. ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978م.

الزبيدي، مرتضى، **تاج العروس**، (د.ط)، بنغازي، دار ليبيا، (د.ت).

الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط5، بيروت، دار العلم للملايين، 1980م.

الزمخشري، الإمام محمود بن عمر، **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، تحقيق د. سليم النعيمي، (د.ط)، بغداد، مطبعة العاني، 1976 م.

زيتري، فلندر: **الحياة الاجتماعية في مصر القديمة**، (د.ط)، القاهرة، الهيئة المصرية لشؤون المطابع الأميرية، 1975م.

أبو زيد، محمد عبد الحميد: **مكانة المرأة في الإسلام**، (د.ط)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1979م.

زين كامل الحويكي، أحمد المصري، **رؤى في البلاغة العربية (دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان)**، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008م.

ساسون، جوليا: **نفرتي الجميلة التي حكمت مصر في ظل ديانة التوحيد**، ترجمة: مختار السويقي، مراجعة وتقديم: د. مختار السويقي، ط2، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية، 1998م.

سالم، عبد العزيز: **تاريخ العرب في عصر الجاهلية**، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).

السباعي، مصطفى: **المرأة بين الفقه والقانون**، (د.ط)، السعودية، دار الوراق للنشر والتوزيع، 1999م.

السعداوي، نوال: **ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين**، (د.ط)، بيت جالا، فلسطين، منشورات غصن الزيتون، 2002م.

السقا، أحمد: **الجنس عند اليهود**، ط2، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2004م.

سلوم، علي، **بلاغة العرب (نشأتها، تطورها، علومها)**، ط2، بيروت، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.

سليم، أحمد: **جوانب من تاريخ وحضارة الجزيرة العربية في العصور القديمة**، (د.ط)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2005م.

سليمان، سليمان محمد، **دراسات أدبية في الخطب والأمثال الجاهلية**، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2004م.

السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى**، ط2، (د.م)، دار علاء الدين للنشر، 2001م.

لغز عشتار (الإلهية المؤنثة و أصل الدين والأسطورة)، ط6، دمشق، دار علاء الدين، 1996م.

السيد، عبد اللطيف: **جزيرة العرب قبل الإسلام (عصر الجاهلية)**، ط1، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2008م.

سيف الدين، إبراهيم نمر و آخرون: **مصر في العصور القديمة**، مراجعة: أ. محمد غربال، ط2، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998م.

الشايب، أحمد، **الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب والنهضة المصرية)**، ط8، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1988م.

- شعيب، حسن: **العرب في العصر الجاهلي**، ط1 ، بيروت، لبنان، دار الفكر العربي، 2004م.
- شلق، علي، **النثر العربي في نماذج وتطوره العصري**، النهضة والحديث، ط2، بيروت، لبنان، دار القلم، 1974م.
- الصائغ، عبد الإله، **الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام**، ط1، بغداد، العراق، منشورات وزاره الثقافة والإعلام، 1982 م.
- صالح، أحمد رشدي: **الأدب الشعبي**، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصري، 1971م.
- صالح، فؤاد، **معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم**، (د.ط)، بيروت ، الشركة العالمية للكتاب، 1996م.
- صباغ، ليلي: **المرأة في التاريخ العربي**، (د.ط)، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1975م.
- صفوت، أحمد زكي، **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، (د.ط)، بيروت ، المكتبة العلمية، 1933م.
- صلاح الدين، صفية: **المرأة بين الأعراف والدين**، ط1، القاهرة، مركز المحروسة، 2005م.
- الضبي، المفضل محمد بن يعلي بن عامر، **أمثال العرب**، تحقيق وشرح وفهرسه الدكتور قصي الحسين، ط1، بيروت، لبنان، منشورات دار وكتبة الهلال، 2003م.
- ضيف شوقي، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، ط5، القاهرة، دار المعارف، 1965 م.
- الطرابلسي، نوفل: **صناعة الطرب في تقدمات العرب**، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، 1982م.
- طه: مصطفى، **واقع المرأة بين الحضارة والدين**، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ن)، 2004م.
- طه، طه: **صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات**، ط1، عمان، الأردن، دار فضاءات للنشر والتوزيع، 2009م.

الطهطاوي، رفاة رافع: الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، (د.ط)، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973م.

ابن طيفور الخراساني، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، تحقيق محمد طاهر الزين، (د.ط)، الكويت، مكتبة السندس، 1993م.

عاشور، محمد: مركز المرأة في الشريعة اليهودية، (د.ط)، القاهرة، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1974م.

العالمي، زينب بنت يوسف، الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور، (د.ط)، الكويت، مكتبة ابن قتيبة، 1990م.

ابن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن ال ياسين، ط1، بيروت، عالم الكتب والنشر، 1994م.

عباس، عبد الهادي: المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ط1، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1997م.

عبد الباقي، زيدان: المرأة بين الدين والمجتمع، (د.ط)، القاهرة، دار النهضة العربية، 1977م.

عبد الرحمن، عفيف، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، (د.ط)، الرياض، دار العلوم، 1983م.

معجم الشعراء (من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي)، ط1، بيروت، لبنان، دار المناضل، 1996م.

عبد الرحمن، نصرت: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط2، عمان، مكتبة الأقصى، 1982م.

في النقد الحديث (دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية)، ط1، عمان، مكتبة الأقصى، 1979م.

عبد الفتاح، سيد صديق، موسوعة الأم في الدين والأدب والتاريخ، (د.ط)، لبنان، الدار المصرية اللبنانية، 1994م.

عبد المالك بطرس: قاموس الكتاب المقدس، ط13، القاهرة، دار مكتبة العائلة، 2000م.

عبد المنعم، جبيري: المرأة عبر التاريخ البشري، ط1، دمشق، سورية، الأوائل للنشر والتوزيع، 2006م.

العبودي، عباس: شريعة حمو رابي (دراسة ومقارنة مع التشريعات القديمة والحديثة)، (د.ط)، (د.م)، الدار العلمية الدولية، مكتبة دار الثقافة، 2001م.

عجينة، محمد، أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، ط1، بيروت، لبنان، دار الفارابي، 1994م.

عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983م.

عفيفي، عبد الله: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ط1، القاهرة، دار احياء الكتب، 1921م.

عقراوي، ثلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، (د.ط)، بغداد، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978م.

العلوجي، عبدا لكريم، حمورابي ذهب الرجل وبقيت الأسطورة، ط1، (د.م)، دار الكتاب العربي، 2010م.

العلوي، هادي، فصول عن المرأة، ط2، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 2003م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (د.ط)، بيروت، دار العلم للملايين، 1970م.

علي، رمضان: حضارة مصر القديمة (منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات القديمة)، تقديم زاهي حواس، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، 2004م.

- العلي، صالح: محاضرات في تاريخ العرب، (د.ط)، بغداد، مطبعة المعارف، 1995م.
- عليان: سيد سليمان: نساء العهد القديم (دراسات في الأنساب والمعاني)، (د.ط)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م.
- أبو عواد، إبراهيم، الأساس الفكري للجاهلية، ط1، عمان، الأردن، دار اليازوري، العلمية للنشر والتوزيع، 2007م.
- العودات، حسين: المرأة العربية في الدين والمجتمع، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.
- عوض، ريتا: بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، ط1، بيروت، دار الآداب، (د.ت).
- عياش، عبد القادر، الحية في حياتنا وتراثنا، (د.ط)، دير الزور، سورية، سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات، 1968م.
- الغفار، عبد الرسول: المرأة المعاصرة، ط1، بيروت، لبنان، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1977م.
- أبو فاضل، وهيب، موسوعة عالم التاريخ والحضارة (حضارات العالم القديم)، ط1، بيروت نوبليس للطباعة والنشر، 2003م.
- الفاكهي، أبو عبد الله بن محمد بن إسحاق الملكي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبد المالك بن عبد الله بن دهيش، ط1، مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، 1986م.
- فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، ط4، (د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية، 1984م.
- فضل الله، مريم: المرأة في ظل الإسلام، ط1، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.

الفقيه، شبر: المرأة العربية المعاصرة وإشكالية المجتمع الذكوري، ط1، بيروت، دار البحار، 2009م.

فهد، توفيق، الكهانة العربية قبل الإسلام، ترجمة حسن عودة، ورندة بعث، مراجعة توفيق فهد، وزيايد منى، تقديم الترجمة رضوان السيد، (د.ط)، بيروت، لبنان، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007م.

القول، صلاح مصطفى: سوسيولوجيا الحضارات القديمة، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 1982م.

فوزي، إبراهيم: أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، ط2، لبنان، دار الكلمة للنشر، 1983م.
الفيومي، محمد إبراهيم، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام، (د.ط)، القاهرة، عالم الكتب، 1979م.

القاللي، أبو علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر، (مراجعة لجنة احياء التراث العربي في دارالافاق الجديدة)، (د.ط)، بيروت، منشورات دارالافاق الجديدة، 1980م.

ابن قتيبه، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1994 م.
الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1966م.

القرطبي، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن حمد بن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس وشذذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسى الخولي، ط2، بيروت، دارالكتب العلمية، 1982م.

القيرواني، أبو إسحاق بن علي الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب، ط4، بيروت، لبنان، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة، 1972م.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين، أخبار النساء - أشهر أخبار النساء في التاريخ العربي -، (د.ط)، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، .

القيم، علي، المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة، ط2، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م.

كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1977م.

المرأة في القديم والحديث، (د.ط)، دمشق، مؤسسة الرسالة، 1979م.

كفافي: منذر، صورة المرأة في شعر الصعاليك حتى نهاية العصر الأموي، ط1، عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2009م.

الكلبي: المنذر هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، (د.ط)، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.

جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، ط1، بيروت، مكتبة النهضة العربية، (د.ت).

لانجرم، وليام، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: د. محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، (د.ت).

الماجدي، خزعل: الدين السومري، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1998م.
المعتقدات الأمورية، (د.ط)، عمان، دار الشروق، 2002م.

المعتقدات الكنعانية، ط1، رام الله، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000م.

متون سومر، ط1، عمان، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، التعازي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي، (د.ط)، دمشق، مجمع اللغة العربية، 1976م.

مجموعة مؤلفين، الموسوعة اليمنية، (د.ط)، بيروت، لبنان، مؤسسة العفيف الثقافية، دار الفكر المعاصر، 1992م.

محمد، إبراهيم عبد الرحمن، الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية، ط2، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، 1980م .

محمد، صلاح عبد الغني: الحقوق العامة للمرأة، ط1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1998م.

مري، مرجريت: مصر ومجدها الغابر، (د.ط)، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1957م.

المشري، البشير، الموروث وأثره في التشريع الإسلامي، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2010م.

معبدى، محمد بدر، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، (د.ط)، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب ومطبعتها، (د.ت) .

مغنية، حسن: ديانة العرب وعلومهم، (د.ط)، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1981م.

المقدسي، أنيس، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط6، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م.

مكاوي، فوزي: الناس في مصر القديمة، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار، 1995م.

المكي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق ودراسة وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1998م .

مناع، هاشم، النثر في العصر الجاهلي، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1993م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط2، الرياض، السعودية، دار الثبات، 1997م.

مهران، محمد: الحضارة المصرية القديمة (الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية)، (د.ط)، (د.م)، دار المعرفة الجامعية، 1998م.

الموسوي، محمد صالح: دليل الهدى إلى اختيار شريكة الحياة (المرأة في الإسلام)، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 1997م.

أبو موسى، محمد، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط2، القاهرة، مكتبة وهبه، 1980م.

الموصللي، ياسين الخطيب، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء، تحقيق عماد علي حمزة، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1987م.

الميداني، أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق على حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، 1995م.

النجار، إبراهيم: حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية (دراسة تأصيلية من فقه القرآن الكريم والسنة النبوية والآراء الفقهية المتعددة)، ط1، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1995م.

نواصرة، راضي، البلاغة والبيان وفصاحة الكلام عند سيدنا الإمام، (د.ط)، إربد، مؤسسة حماد، 2005م.

النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، (د.ط)، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

الوشاء، أبو الطيب، محمد بن أحمد بن إسحاق، الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، ط1، (د.م)، دار الغرب الإسلامي، 1991م.

الوصفي، عبد الرحمن، العلاقات الأسرية في الشعر الجاهلي، (د.ط)، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م.

ولكن، ج، أ، الأمومة عند العرب، نقلها ترجمة بندلى صليباّ الجوزي، (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، 1902م.

وهبة، المهندس، مجدي، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، (د.م)، مكتبة لبنان، 1984م .

يعقوب، اميل بديع، موسوعه أمثال العرب، ط1، بيروت، دارالجيل، 1995 م.

يوسف، عبد الجليل: عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2007م.

الرسائل الجامعية

الحراشنة، أمينة عبد المولى، أدب المرأة النثري من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الثاني، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن ، 2003م.

صبحة، علي: الواقع التاريخي للقضاء في صدر الإسلام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1996م.

طه، نضال: الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م.

عشا، علي مصطفى، هموم الإنسان في شعر ما قبل الإسلام، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 1998م.

القرعان، فايز: الوشم والوشى في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة اليرموك، إربد، الأردن ، 1984م.

القواسمي، سحر: التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام منذ فترة الرسالة وحتى أواخر الدولة الأموية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1999م.

مبروك، ركاد خليل، صورة الرجل في شعر المرأة الأندلسية، (رسالة ماجستير غير منشورة)،
جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011م.

المبيضين، ماهر: الأسرة في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة مؤتة،
الكرك، الأردن، 1998م.

ناصيف، مهية: الملك في الشعر الجاهلي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح
الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006م.

الدوريات

جكلي، زينب: ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي، مجلد الأحمديّة، ع 1، 1998م.

حسن، علاء الدين: المرأة في التصور الإسلامي، المجلة الثقافية، ع 62، 2004م.

خنفر، خلقي، الزبي واحتفالات الزواج، مجلة التراث والمجتمع، ع 25، 1995م.

الديك، إحسان: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م 15، جامعة
النجاح الوطنية، نابلس، 2001م.

الكاهنة الجاهلية قراءة في مكانتها ولغتها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين،
2010م.

السامرائي، إبراهيم، الأمثال العربية، مجلة التراث الشعبي، ع 1، 1975.

السديس، محمد: سبي النساء في ضوء الشعر القديم، مجلة العصور، مجلد 1، ج 1، 1992م.

الصالة، نور الدين، نبذة عامة عن الموسيقى العربية: مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 207،
2004م.

عبد الرحمن، إبراهيم: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول، ع 3، م 1، 1981م.

عبيد، حاتم، *المثل قضاياه ومغناه*، مجلة فصول، ع 66، 2005م.

العمري، ليلي: *الصلاة في العصر الجاهلي (قراءة دلالية في اللغة والنصوص الجاهلية)*،
المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ع 4، م 5، 2009م.

القيسي، فايز عبد النبي، *أدب الحكمة في (دُرَرِ الكَلَمِ ونُمرِرِ الحَكَمِ) للسيوطي*، مجلة مؤتة
للبحوث والدراسات، ع 8، م 20، 2005م.

مقداد، جبريل: *المعتقدات الدينية عند عرب الجاهلية كما تبنت في أشعارهم*، المجلة الأردنية
للعلوم التطبيقية، ع 5، م 44، 2001م.

ناجي، مجيد عبد الحميد، *الصورة الشعرية*، مجلة الأقلام، ع 8، 1984م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate studies

The Image of Woman in Pre-Islamic

By
Zohour ali Othman dwekat

Supervised by
Prof. Ihsan ALDeek

**This thesis is submitted in partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master in Arabic Language and Literature/
Faculty of Graduate Studies An –Najah National University/
Nablus /Palestine**

2013

The Image of Woman in Pre-Islamic

By

Zohour ali Othman dwekat

Supervised by

Prof. Ihsan ALDeek

Abstract

This research is about the image of woman in the pre Islamic prose. It consists of an introduction and four chapters. In the introduction the researcher discussed the reason behind her choice for the subject, its importance, the previous studies, difficulties she encountered in the research, the method she followed as well as the sources and references that are used.

In the first chapter, the researcher discusses the woman in the ancient thought(thinking) and her position in the Civilization of Yemen, Mesopotamia, Sham, Egypt and the west.

In the second chapter, the researcher has discussed the position of woman in the Pre-Islamic life (Aljaheleya) and the way she is different from other nations.

In the third chapter, the researcher talked about the woman's image in the period of pre Islamic prose in an introduction by studying various arts of prose such as preaches, commandments, messages, proverbs and good talking and description. It contains two subjects in the chapter of this study to draw the self-portrait of women in the art of prose and the portrait in which man has described her. These arts have given an accurate image about the life she lived. The first subject was about the role of woman in

the household and the researcher discussed the woman's image and the high values in the community in the second subject.

The fourth chapter was about the artistic formation of the woman image in the pre Islamic prose. The researcher has studied the prose texts that clarified more about woman's image. I studied that in an artistic way and in three sections. The first dealt with the artistic image. In the second, I talked about the style and language. The third was about music.

In the conclusion of my research, I summarized the findings I reached about her. I also listed the sources and references in an alphabetical order.